الخليل عليه السلام ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

علي أبوبكر إبراهيم علي

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

الخليل عليه السلام ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى

علي أبوبكر إبراهيم علي
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق ، جامعة الأزهر. جمهورية مصر العربية .
البريد الالكتروني : a.bakr@tu.edu.sa

الملخص :

يهدف البحث إلى بيان نشأة الخليل عليه السلام وكيفية اصطفاء الله له وما حباه به من صفات عظيمة، وتربية مخصوصة، كما يهدف البحث إلى حرص الخليل على نشر عبادة التوحيد والقضاء على الشرك و الوثنية ، فحاور أباه وناظر عباد الأصنام و الكواكب و الملك المتأله برفق و لين و أقام عليهم الحجة ، فلما ركبوا رؤوسهم و ألغوا عقولهم استعمل معهم أسلوبا يوافق عنادهم ، ولما أصروا على كفرهم و عنادهم ترك الخليل الأهل و الأوطان وضحى في سبيل الله مهاجرا إلى بلاد الشام لعله يجد قوما يحتضنون دين الله و يؤمنون به ، ثم هاجر الخليل ثانية من بلاد فلسطين إلى مصر ثم إلى فلسطين ثم إلى مكة المكرمة ، ووضحت ابتلاء الله خليله بالتكاليف الشرعية فامتثل الخليل أمر الله و قام بها خير قيام ، وأذعن و استسلم هو و زوجه وولده لأمر الله ، لذا اختاره الله للعالمين إماما ، وبينت منهج الخليل في دعوته حيث حاور و ناظر وجادل ،وفند حجج خصومه وبين ضلالهم وباطلهم . كما استدرج الخليل خصومه موهما اياهم بالموافقة على اعتقادهم ثم كرّ عليهم هادما و مفندا . كما استثار حفيظة عباد الأصنام عندما كسرها تاركا أكبرها ليحتج به عليهم فيكبتهم ويخرس ألسنتهم ، كما وضحت كيف استخدم الخليل في دعوته التورية و المعاريض ففيهما مندوحة عن الكذب . وكيف ضحى الخليل بنفسه وأهله وولده وماله ، وقدم أمر الله علي حظوظ النفس و شهواتها ، وجدد بناء البيت هو وإسماعيل عليهما السلام ، لذا أمرنا الله للاقتداء به، وكانت أهم النتائج التي توصلت إليها : أن الله ربى الخليل واصطفاه، وكان أهم ما يميز دعوة الخليل الدعوة إلى التوحيد والقضاء على الشرك والوثنية ، واستخدام شتى الوسائل المتاحة في الدعوة إلى الله تعالى، وبينت صبر الخليل واستسلامه هو وأهله و ولده لأمر الله وتضحيتهم في سبيل الله .

يوصي الباحث أن تكون هناك بحوثا مستقلة عن أنبياء الله ورسله والاستفادة من مناهجهم في الدعوة إلى الله تعالى .

الكلمات المفتاحية : الخليل عليه السلام ، منهج الدعوة، الإسلام

Ibrahim, peace be upon him, and his approach to the call to Allah Almighty.

Ali Abu Bakr Ibrahim Ali

Department of Da`wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Zagazig, Al-Azhar University. Arabic Republic of Egypt

Email: a.bakr@tu.edu.sa

ABSRACT:

The research aims to point out how Ibrahim, peace be upon him, was born, how God chose him, and endowed with him great qualities and special education.

The research also aims to show Ibrahim's keenness to spread the worship of monotheism and the elimination of polytheism and idolatry. He argued with his father and the worshipers of idols and stars and the king gently. When they did not respond, he used a style that suited their stubbornness . And when they insisted on their blasphemy and their stubbornness, Ibrahim left his family and homelands and emigrated to the Levant, hoping to find people embracing the religion of Allah. Later, he migrated again from Palestine to Egypt, then to Palestine, and then to Mecca.

The researcher explained the affliction of Allah to Ibrahim and how Ibrahim complied with the command of Allah and performed them fully. He, his wife and his son surrendered to the command of Allah, so Allah chose him as an imam for the worlds.

The researcher also showed the approach of Ibrahim in his call, where he debated, argued and refuted the arguments of his opponents and explained their delusion and falsehood. Ibrahim also aroused his opponents when he broke their idols, leaving the largest of them to protest against them, and suppressing them and silencing their tongues**.**

The researcher also explained how Al-Khalil used puns in his call which are excluded from lying. And how He sacrificed and gave priority to the command of Allah over self's fortunes and desires. He and Ishmael, peace be upon them, renewed the building of the House of Allah**.**

The most important results of the study are: that Allah blessed and chose Ibrahim, and the most important characteristic of the call of Ibrahim was the call to monotheism and the elimination of polytheism and paganism, and the use of the various available means in calling to Allah Almighty. The study also showed the patience of Ibrahim and family, and their surrender to the command of Allah and their sacrifice for the sake of Allah.

Finally, the researcher recommends that there should be independent studies on the prophets and messengers of Allah, and to benefit from their methods of calling to Allah Almighty**.**

Keywords: Ibrahim, Peace be upon him, Method of Call, Islam.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذى جعل الأنبياء والمرسلين مصابيح الدجى و نور الهدى ينيرون للخلق طريقهم في ظلمات الدنيا الحالكة ، ويأخذون بأيدي الحيارى والضلال إلي رحمة وجنته ،وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، أرسل خليله عليه السلام على حين فترة من الرسل ، فدعا إلى سبيله سبحانه بالرفق و اللين والولاء والبراء ، فحاور وناظر وأقام الحجة وألزم قومه المحجة . وأشهد أن سيدنا و نبينا وعظيمنا وشفيعنا محمدا صلى الله عليه وسلم أشبه الناس بأبيه الخليل وعلى الآل والأصحاب والأتباع وعلى من سار على نهجهم واقتدى بهم إلى يوم الدين ثم أما بعد :

أرسل الله أنبياءه ورسله مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان كلما انحرف الناس عن طريق الحق أرسل الله رسولا ليقيم الناس على الجادة ، حتى أرسل الله رسوله إبراهيم عليه السلام على حين فترة من الرسل و انقطاع من الرسالة فحاور و ناظر و جادل عباد الأصنام و الكواكب والملك الذى ادعى الألوهية ، وعندما وجد الخليل عليه السلام قومه تنكبوا طريق الحق و أصروا على الكفر والجحود و العناد ، هاجر من بلده إلى بلاد الشام ليجد أرضاً خصبة تقبل دين الله و تحتضن دعوة السماء . فكان عليه السلام أول من هاجر فى سبيل الله ، واستخدم الخليل عليه السلام في دعوته الكثير من الوسائل النظرية و العلمية ، وامتثل أمر الله تعالي ،وجدد بناء البيت الحرام . لذا جعله الله للناس إماماً إلي يوم الدين . لهذا وجب على الدعاة والمصلحين في كل عصر و مصر أن يقتدوا بالخليل عليه السلام ، في صفاته، وحياته ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى .

وقد وقع اختياري على دراسة الخليل و منهجه في الدعوة إلى الله تعالى . فكان هذا البحث بعنوان : الخليل ومنهجه في الدعوة إلى الله تعالى .

خطة البحث

ويتكون هذا البحث من :

مقدمة ، تمهيد ، ثلاثة فصول ، خاتمة .

أما المقدمة : فتشمل على :

أهمية الموضوع، ومنهجي في البحث، وخطة الدراسة، وإجراءات كتابة البحث .

التمهيد : و يشمل على :

التعرف بكل من : المنهج ، الدعوة . منهج الخليل عليه السلام في الدعوة .

الفصل الأول : عصر الخليل عليه السلام و نشأته .

الفصل الثاني : منهج الخليل عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى .

الفصل الثالث : أساليب الخليل إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى .

منهجي في البحث :

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي الوصفي ، حيث قمت باستقراء النصوص الواردة عن الخليل عليه السلام ، ثم قمت بتحليلها وعلاقتها بكل مسألة في البحث .

إجراءات كتابة البحث :

سرت في هذا البحث وفق الإجراءات الآتية :

١ – جمع المادة العلمية من مراجعها و مصادرها الأصلية .

٢ – عزو الآراء و الأقوال إلى أصحابها .

٣ – الاستدلال بأقوال أهل العلم .

٤ – التعريف بالكلمات الغريبة من معاجم و قواميس اللغة .

٥ – كتابة الآيات من المصحف الشريف و عزوها إلى سورها .

٦ – تخريج الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في البحث .

٧ – توثيق النقول والأقوال من مصادرها المعتمدة .

٨ – التزمت بعلامات الترقيم .

التمهيد

التعريف بكلمة : منهج :

قال ابن منظور : نَهَجَ : طريق نَهْجُ : أي بين واضح ، وَمَنْهَجَ الطريق : وضحه .

اِلمْنهَاج كالَمْنهَج ، والنَّهْجُ : الطريق المستقيم . فلان يستنهج سبيل فلان أي يسلك سلكه [١] .

وجاء في المعجم الوجيز : انْتَهَجَ الطريق : استبانه وسلكه ، واسْتَنْهَجَ سبيل فلان : سلك مسلكه ، المنهاج : الطريق الواضح والخطة المرسومة ، ومنه : منهاج الدراسة ، ومنهاج التعليم ونحوهما [٢] .

وفي المنهج الإسلامي وحده يخرج الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك لله .

والدعوة : مأخوذة من دعو : قال الزمخشري : دعوت فلانا وبفلان : ناديته وصحت به وما بالدار من داع ولا مجيب ، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله [٣] .

وقال ابن منظور : الدعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داع ورجل داعية . والمؤذن داعي الله ، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته [٤] .

*وبعد هذا البحث في المعاجم والقواميس اللغوية نستخلص أن منهج الدعوة هو ، خطة الدعوة وهو الطريقة المنتظمة التي يسلكها الدعاة إلى الله تعالى علي اختلاف

---

(١) ابن منظور : لسان العرب :ج٢/٣٨٣ .دار صادر بيروت. بدون.

(٢) المعجم الوجيز /٦٣٦ : مجمع اللغة العربية . ط وزارة التربية التعليمية سنة ١٩٩٤م.

(٣) الزمخشري : محمود بن عمر : أساس البلاغة /١٣١ دار المعرفة بيروت سنة ١٩٨٢م .

(٤) لسان العرب ج٢/٣٨٣ .

أزمنتهم وأمكنتهم للوصول إلى تحقيق أهدافهم وبلوغ غاياتهم [١] .

والخلاصة :

أن منهج الخليل عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى الطريقة الواضحة من وسائل وأساليب التي سلكها الخليل عليه السلام في دعوته لأبيه وقومه عباد الأصنام والكواكب والملك المتأله وغيرهم لانتشالهم من الكفر إلي نور الحق والإيمان .

(١) راجع : د/على ابو بكر ابراهيم : منهج الشيخ سعيد حوى وجهوده في خدمة الدعوة الإسلامية . رسالة ماجستير مخطوطة بكلية اصول الدين بالقاهرة سنة ١٤١٩هـ .

الفصل الأول

عصر الخليل عليه السلام ونشأته

ولد الخليل إبراهيم عليه السلام ببابل بالعراق من أرض العرب ، وهي أرض خير وبركة خصها الله بمآثر جمة ومزايا كثيرة. فأرض العرب : مهد الديانات ومبعث الرسالات، على أرضها سار الأنبياء مبشرين لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .ينشرون الهدى والخير والنور، يأخذون بأيدي الحيارى والضلال إلى رحمة الله وجنته .

ففي هذه المنطقة المباركة – أرض العرب – وهي تمتد من المحيط إلى الخليج ، بعث الله نوحا وهودا وصالحا ،.....، وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام . وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ (١) .

ولد الخليل عليه السلام بهذه الأرض . وكان ملكها جبارا عنيدا ، وشيطانا مريدا، أسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، إلا أنه لم يشكر الله عليها ، بل قابلها بالجحود والنكران . فتكبر وتجبر وظلم وبغى ، بل وادعى الربوبية لنفسه ، ودعا الناس إلى عبادته وتأليهه .

وكانت عبادة الأصنام منتشرة بين أمم الأرض جميعا ، فقد انحرفت فطرتهم وانتكست عن المنهج المستقيم والطريق السوي ، فعبدوا الحجارة والأوثان ، وألهوا الكواكب والنجوم .

فتر الحديث عن الوحي والنبوة بين صالح وإبراهيم عليهما السلام أمدا لا يعلمه إلا الله ، وقد يكون الله تعالى أرسل بينهما رسلا ولم يقص خبرهم علينا ،كما قال

---

(١) الفرقان : ٣٧ – ٣٨ .

سبحانه : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١) .

ومن المؤكد أن هودا وصالحا عليهما السلام بعد نوح وقبل إبراهيم عليهما السلام ، لأن الله ذكرهما عقب نوح عليه السلام فقال جل شأنه : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ (٢) .

الأمة التي بعث إليها الخليل عليه السلام :

لم يعين القرآن الأمة التي بعث إليها الخليل عليه السلام ، ولم يحدد زمانها ، إلا أنه أشار إلى أن الخليل تحرك بدعوته فرارا بدينه ، أو تنفيذا لأمر الله تعالى .كهجرته إلى بلاد الشام ومكة المكرمة . وما صرحت به السنة النبوية من هجرته من بيت المقدس إلى مصر ثم بيت المقدس ، فمكة المكرمة ثم الرجوع إلى بيت المقدس ، ثم تكراره الرحلة ما بين بيت المقدس ومكة المكرمة بين الفينة والأخرى ..

ولكن جمهرة المؤرخين على أن الخليل عليه السلام ولد ببابل بالعراق (أور الكلدانيين بالعراق) وهي الأرض التي يقال لها السواد .

وبابل هذه مدينة على شاطئ الفرات ، لها تاريخ عريق منذ القدم . قامت على أرضها حضارة زاهية في العصور القديمة على أيدي البابليين . وقد دمرت هذه المدينة بمرور الزمان وتطاول الأعوام ، وأطلالها على بعد أربع وخمسين ميلا جنوبي بغداد ، وحل محلها قرية صغيرة تحمل نفس الاسم (٣) .

---

(١) النساء : ١٦٤ .

(٢) الفرقان : ٣٧ – ٣٨ .

(٣) راجع تاريخ الطبري ج١/٢٣٣-٢٥٠. البداية و النهاية ج١/١٤٠-١٤٩. بكر زكى عوض دعوة الرسل ج١/٢٧٥-٢٧٦.

وكان أهل بابل يعبدون الأصنام ، ويتخذونها آلهة من دون الله تعالى ، حتى أرسل إليهم رجلا منهم يدعوهم إلى الله تعالى هو إبراهيم عليه السلام .

نسب إبراهيم عليه السلام :

هو الخليل إبراهيم بن آزر أبو الأنبياء ، أحد أولي العزم من الرسل ، لأن جميع الأنبياء الذين جاءوا بعده من نسله .

وكان أبوه آزر – وهو الصحيح الذي ذكره القرآن – يعبد الأصنام كقومه .

وقد التقى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في بيت المقدس في رحلة الإسراء والمعراج ، وصلى بهم إماما ، ثم استقبلوه في السماوات . وكان من بين هؤلاء الأنبياء الخليل عليه السلام ، حيث قابله في السماء السابعة مسندا ظهره إلى البيت المعمور ، وحوله أطفال المسلمين يعلمهم القرآن . فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " عرض علي الأنبياء ، فإذا موسى ضرب من الرجال ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام ، فإذا أقرب من رأيت به شبها : عروة بن مسعود ، ورأيت إبراهيم صلوات الله عليه ، فإذا أقرب من رأيت به شبها صاحبكم يعني نفسه ، ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبها دحية بن خليفة " [1] .

المعتقدات الدينية زمن الخليل إبراهيم عليه السلام :

صرح القرآن بأن قوم إبراهيم عبدوا الأصنام ، وكان لها معابد ، كما انتشرت عبادة الكواكب السبعة السيارة بينهم ، وادعى البعض لنفسه الربوبية كالملك الذي ناظره الخليل عليه السلام .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٢٧١) باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم. إكمال المعلم ج١ (٥١٧).

أما موقفهم من ناحية الإيمان بالله تعالى إقرارا مع اتخاذ الشركاء أولا ، أو علمهم بالملائكة أو إيمانهم باليوم الآخر. فلم يرد في القرآن ما يثبت أو ينفي على الرغم من أن الخليل تحدث إلى قومه عن البعث والحساب والثواب والعقاب [١] .

ويذكر ابن جرير أن مولد إبراهيم عليه السلام كان في عهد الملك نمرود كنعان بن كوش ، وكان أهل بابل يعبدون الأصنام ، وكانت لهم أصنام كثيرة [٢] .

يقول ول ديورانت : "إن كل مدينة لها رب يحميها ،وقد كان للمقاطعات والقرى آلهة صغرى تعبدها وتخلص لها ، وإن كانت تخضع رسميا للإله الأعظم ، ثم قل عدد الآلهة شيئا فشيئا بعد أن فسرت الآلهة الصغرى بأنها صور أو صفات للآلهة الكبرى [٣] .

وعلى هذا أصبح مزدك إله بابل كبير الآلهة البابلية . وكان الملوك يشعرون بشدة حاجتهم إلى غفران الآلهة ، فشادوا لها الهياكل ، وأمدوها بالأثاث والطعام والنبيذ " .

بعث الخليل إبراهيم عليه السلام :

شب الخليل إبراهيم وكبر وعين الله ترعاه وتحفظه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ [٤] . وحباه الله بصفات الخير، فهو أهل لهذه الرسالة كما وصفه ربه قائلا : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [٥] .

كما كان الخليل عليه السلام أواها حليما قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [٦] .

---

(١) راجع : د/ بكر زكي عوض : دعوة الرسل ج١ / ٢٧٧ – ٢٧٨ .

(٢) تفسير ابن جرير ج ٧ / ١٦٣.

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة : ج٢ / ٢١١ .

(٤) الأنبياء : ٥١ .

(٥) النحل : ١٢٠ – ١٢١ .

(٦) التوبة : ١١٤ .

والخليل عليه السلام أهله الله للرسالة فاستسلم وانقاد لأمر الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

ولقد وضح القرآن أن الخليل عليه السلام تزوج وامتد به العمر ولم ينجب ، فتضرع إلى الله تعالى أن يرزقه ذرية صالحة ،فقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) . فاستجاب الله دعاءه ، وجاءته الملائكة في صورة ضيوف .

الدين الذي جاء به إبراهيم عليه السلام :

قرر القرآن أن الدين الذي جاء به إبراهيم عليه السلام ودعا إليه وأوصى به هو الإسلام ، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

وأوصى إبراهيم أولاده أن يتمسكوا بالإسلام وأن يتفانوا فيه، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٤) .

وكان الخليل عليه السلام يدعو ربه أن يجعله من المسلمين ... (٥) ، قال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦) .

ولقد رد الله على اليهود والنصارى وأبطل دعواهم ، فزعمت اليهود بأن إبراهيم

---

(١) البقرة : ١٣١.
(٢) الصافات : ٩٩ – ١٠٠ .
(٣) البقرة : ١٣١ .
(٤) البقرة /١٣٢
(٥) راجع : د/ بكر زكي :دعوة الرسل ج١/٢٧٩-٢٨٠.
(٦) البقرة /١٢٨

كان يهوديا ، وزعمت النصارى بأنه كان نصرانيا ، ففند الله مزاعمهم قائلا : ﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

ركائز دعوة الخليل عليه السلام :

إن الناظر في آيات الكتاب العزيز التي تناولت دعوة الخليل عليه السلام يجد أنها تقوم على ثلاثة أركان هي :

١ – العقيدة .

٢ – الشريعة .

٣ – الأخلاق .

أولاً : العقيدة :

١ – الإيمان بالله تعالى وحده :

ذكرنا قبل أن قوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام ويؤلهون الكواكب السيارة ، وبنوا لها المعابد والهياكل ، كما ألهوا البشر وعبدوهم من دون الله .

وقد حرص الخليل عليه السلام على نشر دعوة التوحيد والقضاء على الشرك والوثنية ، فحاور أباه ، وجادل قومه في شأن الأصنام وأقام عليهم الحجة الدامغة حتى كادوا أن يهتدوا إلى نور الإيمان ، لولا أن إبليس صدهم عن نور الحق فأضلهم وأعمى أبصارهم كما قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١)

(١) آل عمران /٦٥-٦٧

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (١) .

وناظر الخليل عليه السلام الملك النمرود بن كنعان الذي ادعى الألوهية ، وألزمه الحجة وأخرسه .

وجاهد الخليل عليه السلام من أجل نشر التوحيد بين قومه الذين لا يؤمنون إلا بما تقع عليه أعينهم وتلمسه أيديهم . أراد الخليل أن يلقنهم درسا عمليا ، فكسر أصنامهم وجادلهم ، وبين لهم أنها لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا فضلا عن غيرها .

وتحمل الخليل عليه السلام العذاب والإحراق لأجل دينه . ولما وجد الخليل القوم تنكبوا طريق الحق ، واختاروا طريق الغي والضلالة ترك بلده وأهله وهاجر بزوجه (سارة عليها السلام) وابن أخيه لوط عليه السلام إلى أرض أخرى وإلى أقوام آخرين عساهم أن يقبلوا دين الله ، فهاجر من بلد إلى بلد ينشر دعوة التوحيد .

٢- الإيمان باليوم الآخر :

قضية البعث والإيمان باليوم الآخر أصل ثابت مقرر في كل دين على لسان كل رسول .فإبراهيم الخليل دعا قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان والكواكب ، وإلى أن يؤمنوا باليوم الآخر وما أعد الله فيه للطائعين من نعيم وجنات ، وما توعد به الكافرين والعاصين من عذاب وجحيم . يتجلى لنا ذلك عند مطالعتنا للآيات التي تناولت دعوة الخليل عليه السلام .

١ – قال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ

(١) الأنبياء : ٥١ – ٥٦ .

اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١) .

فهذه الآية توضح : أن الخليل دعا قومه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، بل توجه إلى الله تعالى سائلا إياه من آمن به وباليوم الآخر من أهل مكة أن يرزقه الله الأمن والإيمان ، وأن يبارك له في رزقه وثماره . واستجاب الله دعاء الخليل ، وتوعد من كفر وأعرض بأن يمتعه قليلا ثم يلجئه إلى عذاب النار وبئس المصير .

قال الفخر الرازي في قوله تعالى :" ومن كفر فأمتعه قليلا " :" والمعنى أن الله تعالى كأنه قال إنك وإن كنت خصصت بدعائك المؤمنين فإني أمتع الكافر منهم بعاجل الدنيا ، ولا أمتعه من ذلك ما أتفضل به على المؤمنين إلى أن يتم عمره فأقبضه ثم أضطره إلى عذب النار " (٢) .

وقال ابن كثير في قوله تعالى : " ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير " أي ثم ألجأه بعد متاعه في الدنيا وبسطنا عليه من ظلها إلى عذاب النار وبئس المصير . ومعناه أن الله تعالى ينظرهم ويمهلهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ." (٣)

٢ – وقال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام مذكرا باليوم الآخر: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (٤) . فهذه الآية تقرر عقيدة البعث والحساب والجزاء في شريعة إبراهيم عليه السلام .

ج – وفي سورة الشعراء : نجد الخليل عليه السلام وهو يذكر قومه بنعم الله عليهم من رزق وإنزال الماء ، والمن بالشفاء ، وغفران الذنوب ،ثم يدعوهم إلى الله وحده

---

(١) البقرة : ١٢٦ .

(٢) مفاتيح الغيب ج٢/٤١٣ .ط ١ .دار الغد العربي. القاهرة سنة ١٤١٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج١/١٦٦. دار الجيل لبنان . ط ١ .سنة ١٤٠٨ .

(٤) إبراهيم/٤١

ويحذرهم عبادة الأصنام ، بل يعلن عداءه لها ،ويذكرهم باليوم الآخر وما فيه من جنات النعيم أعدها الله للمؤمنين ، قال سبحانه : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩٠) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [١] . "والذي يميتني " يوم يريد إماتتي عند انتهاء ما حدد لي من أجل تنتهي به حياتي ثم يحييني يوم البعث والنشور . "والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي " أي يسترها ويمحو أثرها من نفسي يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب على عمل الإنسان في هذه الدار، إذ هي دار عمل والآخرة دار جزاء .

والآيات تقرر عقيدة التوحيد بالحوار الذي دار بين إبراهيم عليه السلام إمام الموحدين وقومه المشركين [٢] . كما تقرر الآيات عقيدة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من بعث وجنة ونار .

د – وقال سبحانه : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (٤١) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [٣] .

" وقد ذكر سبحانه ما تضمنته صحف إبراهيم وموسى منها :

١ – ألا يؤخذ امرؤ بذنب غيره .

٢ – ألا يثاب امرؤ بعلمه .

---

(١) الشعراء /٨٣–٩٣

(٢) المرجع السابق ج٣/٣١٠–٣١١ .

(٣) النجم : ٣٦ – ٤٢ .

٣ – إن العامل يرى عمله في ميزانه خيرا كان أو شرا .

٤ – إنه يجازى عليه الجزاء الأوفى فتضاعف له حسناته إلى سبعمائة ضعف . ويجازى بمثل سيئاته .

٥ – إن الخلائق كلهم راجعون يوم المعاد إلى ربهم ، ومجازون بأعمالهم " [١] .

فالآيات تتحدث عن اليوم الآخر وما فيه ، وتقرر أن المسألة يوم القيامة ستكون فردية ، ولا يحمل الإنسان تبعة غيره ،وهو مجزي بعمله إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

هـ – وقال جل شأنه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [٢] .

قال الفخر الرازي في قوله تعالى : ﴿ نَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ : اختلفوا في المشار إليه بلفظ " هذا " ، منهم من قال : جميع السورة ، وذلك أن السورة مشتملة على التوحيد والنبوة والوعيد على الكفر بالله ، والوعد على طاعة الله تعالى . ومنهم من قال : بل المشار إليه بهذه الإشارة هو من قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ إشارة إلى تطهير النفس عن كل ما ينبغي . أما القوة النظرية فعن جميع العقائد الفاسدة ، وأما القوة العملية فعن جميع الأخلاق الذميمة " [٣] .

إن القرآن يقرر ويوضح بعض ما جاء في صحف الخليل عليه من تزكية النفس وتطهيرها بطاعة الله وعبادته وذكره جل شأنه واجتناب معاصيه ، وأن ينأى العبد بنفسه عن شهوات الدنيا ولذاتها الفانية . ويقدم الآخرة الباقية .

قال قتادة وابن زيد : يريد قوله : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ قالا: تتابعت

---

(١) أحمد مصطفى المراغي : تفسير المراغي ج/٢٧ ص ٦٣. دار الفكر . بدون تاريخ .

(٢) الأعلى : ١٤ – ١٩ .

(٣) مفاتيح الغيب : ج١٦ /٣٦٧ .

كتب الله أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا. وقال الكلبي :" إن هذا لفي الصحف الأولى " من قوله " قد أفلح " إلى آخر السورة " [١] .

وهذان الركنان الإيمان بالله واليوم الآخر وما فيهما لب العقيدة وجوهرها . فالإيمان بالله وحده طريق الفوز والسعادة في الدارين ، كما أن الإيمان بالله وحده واليوم الآخر يجعل العبد ملتزما بأوامر الله مجتنبا لمعاصيه .

والإيمان برسل الله تعالى في كل رسالة : فما من نبي أو رسول إلا ودعا قومه إلى طاعة الله تعالى وعبادته ، وحذرهم مغبة ما هم عليه من شرك ووثنية وباطل وضلال ، ودعاهم إلى أن يقتدوا به ويقتفوا أثره . كما أخبر سبحانه :" وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء " [٢] .

وأما الإيمان بالكتب المنزلة : فكل نبي أرسله الله برسالة وأوحى إليه بشرع ، هذا الشرع وتلك التعاليم حواه كتاب كما أخبر عز من قائل : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ .... ﴾ [٣] .

وأما الإيمان بالقضاء والقدر فقد : وردت الإشـــارة إليه في قول إبراهيم لقومه : ﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [٤] .

ولقد أخبر رسل الله أقوامهم : أن الله على كل شيء قدير ، وأنه قد أحاط بكل شيء علما ، وأنه جل شأنه علم ما كان وما سيكون وما هو كائن إلى يوم القيامة ، دون ذلك كله في كتاب عنده (كتاب المقادير– اللوح المحفوظ) ، وأنه سبحانه له الأسماء

---

(١) أبوعبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج١٠/٧٣٦١. دار الغد العربي، القاهرة .ط١ سنة ١٤١٠.

(٢) إبراهيم /٤

(٣) النساء/١٦٣

(٤) الأنعام /٨٠

الحسنى والصفات العلا .

ثانيا : شريعة ابراهيم عليه السلام

لقد جاء رسل الله عليهم السلام بدين واحد ذا أصول ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ، فأصول الشرائع واحدة : من توحيد لله ،والإخلاص له ، وعبادته سبحانه فالصلاة والزكاة والصيام والحج هذا من أصول الشرائع ،وإن اختلفت طرقهم و مسالكهم كما قال سبحانه: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (١) . أي سنة وسبيلا، قال سبحانه: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ... ﴾ (٢) . فقوله تعالى :"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا " أي: شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ،ثم بين ذلك بقوله : " أن اقيموا الدين وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه و بيوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما . ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب اصولها ، فإنها مختلفة متفاوتة . والمعنى :أوصيناكم يا محمد ونوحا دينا واحدا ،يعني الاصول التي لا تختلف فيها الشريعة ، وهي : التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب إلى الله بصالح الاعمال " (٣) .

لقد صرح القرآن بأن الله تعالى كلف الخليل عليه السلام ببعض العبادات والشرائع فالتزم بها ودعا قومه وأولاده إليها منها :

١ – الصلاة : بين القرآن أن الصلاة مقررة في شريعة إبراهيم ، وهي ذات قيام وركوع وسجود .ولكن كيفيتها وهيئاتها وعددها ومواقيتها فلم يتعرض له القرآن وهو مما اختلفت فيه الشرائع ، فقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي

(١) المائدة /٤٨

(٢) الشورى/ ١٣

(٣) الجامع لأحكام القرآن : ج ٩/ ٦٠٥٣ .باختصار .

مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [١]. "يقول ربي اجعلني مؤديا ما ألزمتني من فريضتك التي فرضتها علي من الصلاة . "ومن ذريتي" يقول واجعل أيضا من ذريتي مقيم الصلاة لك " [٢] . وقال سبحانه : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [٣] . فخص الصلاة من جملة الدين لفضلها فيه ومكانتها منه وهي عهد الله عند العباد.

وقوله : " ربنا ليقيموا الصلاة " يقول : فعلت ذلك يا ربنا كي تؤدى فرائضك من الصلاة التي اوجبتها عليهم في بيتك المحرم " [٤] .

وقال جل شانه : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [٥] . يقول ابن جرير : " قال قتادة : قوله " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا" جعلهم الله أئمة يقتدى بهم في أمر الله . وقوله" يهدون بأمرنا " أي: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك ويدعونه إلى الله وإلى عبادته. وقوله :"وأوحينا إليهم فعل الخيرات " يقول تعالى ذكره :وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات واقيموا الصلاة بأمرنا بذلك " [٦] . وأمر الله خليله عليه السلام بأن يطهر البيت الحرام من الأوثان والشرك وكل شيء مستقذر خبيث، وأن يعده و يهيئه لعباده الطائفين والمصلين، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا

---

(١) ابراهيم/ ٤٠

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري :جامع البيان في تفسير القرآن .ج ١٣/١٥٦. دار الريان للتراث .ط سنة ١٤٠٧ .

(٣) سورة ابراهيم/ ٣٧

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٥/٣٧٠٩ . جامع البيان في تفسير القرآن : ج ١٣ /١٥٥.

(٥) الانبياء /٧٣

(٦) جامع البيان في تفسير القرآن ج١٧/ ٣٦ –٣٧ .

وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [١] .

أي اجعله خالصا لهؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فالطائف به معروف ،وهو أخص العبادات عند البيت فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها والقائمين أي في الصلاة ولهذا قال :"والركع السجود" فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشرعان إلا مختصين بالبيت فالطواف عنده والصلاة إليه في غالب الاحوال " [٢] .

٢ – الزكاة : ورد ذكر تشريع الزكاة و فرضيتها في ملة إبراهيم في سورة الأنبياء في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [٣] . إلا أن القرآن لم يحدد مقدارها ولا وقتها أو الأموال التي تخرج منها ،ونحو ذلك ، فكل هذا يختلف من شريعة إلى أخرى.

٣ – الصيام : لم يأت نص صريح الدلالة بالنسبة الخليل عليه السلام ، ولكن تؤخذ دلالته من عموم قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [٤] فظاهر الآية يقرر أن شعيرة الصوم افترضها الله على جميع الأمم .

٤ – الحج : أولى القرآن هذه الشعيرة اهتماما بالغا بالنسبة للخليل عليه السلام، فقد أخبر الله إبراهيم بمكان البيت الحرام فقال تعالى :"وإذ بوانا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا " [٥] .

كان البيت الحرام ربوة حمراء تترك السيول أحيانا عن يمينها و شمالها ،وكان

---

(١) الحج /٢٦

(٢) تفسير القرآن العظيم ج٣/ ٢٠٩-٢١٠ .

(٣) الانبياء /٧٣

(٤) البقرة /١٨٣

(٥) الحج/ ٢٦

الخليل يأتي إلى مكة بين الفينة والأخرى يتفقد هاجر وولده، ويقص علينا البخاري من حديث ابن عباس مجيئ الخليل إلى مكة وإخباره إسماعيل بأن الله أمره أن يبني البيت الحرام بمكة ،ومعاونة إسماعيل لأبيه. ".....ثم جاء بعد ذلك " أي ابراهيم "وإسماعيل يبري نبلا له، تحت دوحة قريبا من زمزم ، فلما رآه قام إليه ، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال: يا إسماعيل: إن الله أمرني بأمر ؟ قال: فاصنع ما أمرك ربك . قال: وتعينني ؟ قال: وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أبني هاهنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها . فعند ذلك رفعا القواعد من البيت، فجعل اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني ،حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم " (١) .

– وقد تحدثت آيات القرآن عن إبراهيم واسماعيل و بنائهما البيت الحرام ،قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) .

كما وضح القرآن أن البيت الحرام هو أول بيت وضعه الله للناس لعبادته جل شأنه فقال : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٦٤) باب يزفون النسلان ج٦ (٤٥٦-٤٥٩).

(٢) البقرة. /١٢٥- ١٢٨

إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

وهذا ما أكدته السنة ، عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام . قلت: ثم أي ؟ قال :المسجد الاقصى . قلت :كم بينهما قال أربعون سنة " (٢) .

وبعد أن أتم الخليل وإسماعيل بناء البيت الحرام ، أمر الله خليله بأن يؤذن في الناس بالحج . فقال :رب وما يبلغ صوتي قال :عليك النداء وعلينا البلاغ . فصعد الخليل جبل أبي قبيس المجاور للكعبة ثم نادى : أيها الناس إن الله بنى لكم بيتا فحجوه. ثلاثا فلبى نداء الخليل من كان في أصلاب الرجال وأتراب النساء إلى يوم القيامة قائلين : لبيك اللهم لبيك. كما قال سبحانه : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (٣) .

ابتلاء الله الخليل بالتكاليف الشرعية ووفاء الخليل بها :

ابتلى الله خليله بجملة من التكاليف الشرعية فامتثل الخليل أمر ربه واستسلم .فأثنى الله عليه واختاره إماما للناس، كما أخبر جل شانه : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

ولقد وفى الخليل بعهد الله له وشهد الله له بذلك فقال سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ

(١) آل عمران/ ٩٦-٩٧

(٢) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء(٣٣٦٦) باب (١٠) ج٦ (٤٦٩).

(٣) الحج/٢٧-٢٩

(٤) البقرة/ ١٢٤

أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١). وقال جل شانه : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (٢) .

روى ابن عباس أن الكلمات هي شرائع في الطهارة وأنها خمس في الرأس : قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس . وخمس في الجسد : تقليم الأظافر وحلق العانة والختان ونتف الابط والاستنجاء " وزاد بعضهم : وغسل الجمعة وفي رواية أخرى وأربع في المشاعر: الطواف والسعي ورمي الجمار والإفاضة ."

وقال ابن عباس : ما ابتلي بهذا الدين أحد فقام به كله إلا إبراهيم، قال الله تعالى :" واذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن.."

وقال عكرمة : قلت لابن عباس : وما الكلمات التي ابتلى إبراهيم بهن فاتمهن؟ قال: الإسلام ثلاثون سهما. منها عشر آيات في براءة : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ سورة (٣) . وعشر آيات في سورة المؤمنون "قد أفلح المؤمنون" ، "وسال سائل" وعشر آيات في سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ (٤). فاتمهن كلهن فكتب الله له براءة من النار . قال الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (٥) .

فالذي عليه جماهير المفسرين تفسير الكلمات التي ابتلى الله بها خليل إبراهيم . وإن كان الافضل والاولى ترك تفسيرها لأنها من مبهمات القرآن ، ولم يرد تفسير هذه الكلمات في كتاب أو سنة إنما هي اجتهادات .

---

(١) البقرة : ١٣١ .

(٢) النجم : ٣٧ .

(٣) التوبة : ١١٢ .

(٤) سوره الاحزاب : ٣٥ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ج١ / ٢٢٨ ، النجم : ٣٧ .

" وقد ابتلى الله ابراهيم بالتكاليف الشرعية وما فيها من أوامر ونواه وأحكام وهذا هو المراد بالكلمات في الآية .

والكلمات التي ابتلى الله إبراهيم بها مبهمة وغير محددة ولا مبينة في الآية. وقد جاءت بكلمات نكرة والتنكير مع التنوين يدل هنا على الإبهام فلم تحدد الآية هذه الكلمات ، كما لم يحددها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح مرفوع ..... ولسنا مع من ذهب إلى تحديد تلك الكلمات التشريعية بأمثلة ونماذج ، لأن اقوالهم اجتهادية ليس عليها دليل نصي . كل ما نقوله : هذه الكلمات هي التكاليف التي كلف الله إبراهيم بها ، وما تشمله هذه التكاليف من اوامر ونواه وأحكام وواجبات ، سواء ما يتعلق منها بالعقيدة أو العبادة أو الدعوة أو الأخلاق أو غير ذلك " [(١)] .

ومن شريعة إبراهيم وسنته : الختان وهو : ما أكدته السنة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اختتن إبراهيم النبي عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم " [(٢)] . فما أسرع استجابة الخليل وتنفيذه لأمر الله تعالى ، فلما أمره الله بالاختتان اختتن وهو ابن ثمانين عاما .

فالأضحية من سنة الخليل عليه السلام ، فقد ضحى بابنه استجابة لأمر الله ، ولما تعرض له إبليس في صورة ناصح قائلا : يا إبراهيم الرؤيا منام تذبح ولدك ، فرجمه إبراهيم . وتعرض إبليس لإسماعيل لكي يصرفه عن أمر الله فرجمه إسماعيل . وفدى الله إسماعيل بكبش عظيم كما قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦)

---

(١) د/ صلاح الخالدي: القصص القرآني ج١/٤٤٠-٤٤١ .دار القلم : دمشق . ط:١ سنة ١٤١٩ .

(٢) رواه البخاري في كتاب حديث الأنبياء (٣٣٥٦) باب قول الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا.

وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

و" عن زيد بن أرقم قال : قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما هذه الأضاحي؟ قال: سنة أبيكم ابراهيم. قالوا : فما لنا فيها يا رسول الله؟ قال : بكل شعرة حسنة. قالوا: فالصوف؟ قال : بكل شعرة من الصوف حسنة " (٢) .

ثالثا: الأخلاق

الأخلاق هي : لب الرسالات ، وهى ثمرة العقيدة والشريعة وما من نبي إلا ودعا قومه إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة، ونهاهم عن مساوئ والأخلاق والفواحش والرذائل.

والخليل عليه السلام دعا قومه إلى التمسك بالأخلاق الحميدة ، وكان عليه السلام أول المتمسكين بها فمن أخلاقه :

١ – أواه حليم منيب : هو مفتاح شخصية الخليل ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾ (٣) .

والحليم: من الحلم وسعة الصدر والأناة ، والحليم الذى يملك نفسه عند الغضب.

والأواه : كثير التأوه والتحزن والتخشع من ذكره لله . والكثير الدعاء. والأواه : الكثير التأوه على الذنوب . وقيل : كان كلما ذكر النار قال أوه ، وقيل الأواه : المسبح.

---

(١) الصافات : ١٠٢ – ١٠٧ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ج٢(٣٨٩)، وقال: صحيح الإسناد. والمنذري في الترغيب ج٢/١٥٤. وابن ماجه في كتاب الأضاحي (٣١٢٧) باب . مصباح الزجاجة (٥٠-٥١) . وأحمد ج٤ (٣٦٨) .

(٣) هود / ٧٤-٧٦

المنيب : المقبل بقلبه على الله. من الإنابة وهى : الرجوع الدائم المستمر الى الله . قال الراغب : النوب: رجوع الشيء مرة بعد أخرى والإنابة إلى الله تعالى : الرجوع إليه بالتوبة والإخلاص العمل [١] .

هدوء ابراهيم وحلمه :

فالخليل حليم هادئ. متسامح، لا يحتد ولا يغضب . فهو هادئ حليم مع أبيه وقومه ، وفى جداله مع الملك الكافر ، حليم حتى عندما حطم الأصنام ، حليم عندما ألقوه في النار ، فلجأ إلى الله وأناب إليه .

إنه نموذج ومثال للحلم والهدوء والإنابة والتسامح وهو قدوة في هذا لمن بعده من الصالحين [٢] .

٢ – وفاء الخليل عليه السلام

قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [٣] .

أثنى الله على خليله إبراهيم بأنه وفى من التوفيق ، وأداء المطلوب كاملا وعدم إنقاص شيء منه . وكلمة وفي من الكلمات التي تتضمن معان لا تكاد تحد .

يقول الحافظ ابن كثير : وفي في جميع ما أمر به وقام بجميع خصال الإيمان وشعبه وكان لا يشغله مراعاة الأمر الكبير الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل ، ولا ينسيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصغار .

فالخليل كان دائما عند مرضاة ربه لا يرى إلا حيث يحب الله تعالى ولا يتكلم إلا

---

(١) الراغب الأصفهاني : مفردات غريب القرآن /١٠١ ، ٨٢٧ .

(٢) راجع الخالدي : القصص القرآني ج١/ ٤٣١ .

(٣) النجم ٣٦/٣٨

بما يحب الله سبحانه .

اختبره الله فصبر على الاختبار ونجح فيه ، وابتلاه الله سبحانه فتحمل الابتلاء ، وأرضى الله في شأنه وكان كلما نجح في الاختبار كافأه الله سبحانه وتعالي بالحياة [١] .

٣ – كان أمة قانتا لله حنيفا :

كما قال الله تعالى :" إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين . شاكرا لأنعمه " والأمة :الإمام الذي يقتدي به . وقال ابن مسعود :الأمة: معلم الخير. وقال ابن عمر :الذي يعلم الناس دينهم . وقال مجاهد : كان إبراهيم أمة أي مؤمنا وحده ، والناس كلهم اذ ذاك كفار . والقانت : الخاشع المطيع لربه.

فمن الصفات البارزة عند الخليل كثرة التجائه إلى الله تعالى بالدعاء . والدعاء صورة محببة إلى الله تعالى [٢] .

والدعاء عبادة و قربى إلى الله تعالى ، ولقد توعد الله هؤلاء المتكبرين عن دعائه بأن يدخلهم النار وبئس المصير. قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [٣]. أي إن الذين يستكبرون عن دعائي.

وقد كان الخليل يدعو الله في كل أموره ، فدعا ربه بأن يرزقه ذرية صالحة : "رب هب لي من الصالحين " [٤] . وعند بنائه الكعبة هو وإسماعيل توجها إلى الله ضارعين : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ

(١) تفسير القرآن العظيم : ج٤/ . وراجع د/ عبد الحليم محمود : مع الأنبياء والرسل /١٧٣–١٧٤. دار المعارف .سنة ٢٠٠٨ .

(٢) راجع : في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل /١٧٧ –١٨٠ .

(٣) غافر/ ٦٠

(٤) الصافات /١٠٠

عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [١] . وعندما وضع هاجر واسماعيل بجبال مكة و ليس معها سوى جراب تمر وقربة ماء وقالت: له يا إبراهيم إلى من تتركنا..... آلله امرك بهذا ؟ فلما كان الخليل عند الثنية حيث لا يرونه توجه إلى الله داعيا : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [٢] .

الحنيف. : هو المائل إلى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه ولم يك من المشركين : أي كان من الموحدين في الصغر والكبر " [٣] .

٤ – شاكرا لأنعمه :

كان الخليل عليه السلام لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بقوم من الملائكة في سورة البشر، فدعاهم إلي الطعام فأظهروا أن بهم علة الجذام فقال : الآن يجب علي مؤاكلاتكم فلولا عزتكم على الله ما ابتلاكم بهذا البلاء.

ولو طالعنا قصة الخليل في كتاب ربنا لوجدنا أن من أبرز صفات الخليل : كرمه عليه السلام .عندما جاءته الملائكة تبشره بغلام هرع مسرعا وذبح لهم عجلا سمينا لقراهم ، كما أخبر بهذا سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [٤] .

---

(١) البقرة/ ١٢٨

(٢) ابراهيم/ ٣٧

(٣) مفاتيح الغيب : ج٩/ ٥٥٨ –٦٥٩ .

(٤) هود/ ٦٩–٧٠ .

الفصل الثاني

منهج الخليل عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى

إذا نظرنا إلى قصة الخليل عليه السلام في القرآن فيمكننا أن نقسمها إلي مرحلتين :

الأولى : دعوة الخليل عليه السلام إلى الله في موطنه الأصلي العراق ، حيث دعا أباه وعباد الأصنام والكواكب والملك الظالم فناظر وجادل وحاور وأقام عليهم الحجة الدامغة والبرهان الساطع ، ولما تنكبوا طريق الحق وأصروا على كفرهم أراد أن يلقنهم درسا عساهم أن يعوه فحطم أصنامهم ، فانتقموا منه وأرادوا إحراقه بالنار ولكن الله نجاه منهم .

الثانية : دعوته إلى الله تعالي في الأرض المباركة فلسطين حيث هاجر إليها قادما من بلاد العراق ، وصحبته زوجته سارة ، وابن أخيه لوط عليهما السلام ، حيث نزل الخليل فلسطين ، ولوط قرى سدوم بالأردن شرق فلسطين .

وفي هذه المرحلة ذهب إلى مصر مع زوجه سارة ، ثم عادا ثانية إلى فلسطين ومعهما هاجر ،وذهابه إلى أرض الحجاز وبنائه الكعبة وعودته إلى فلسطين ، وبقي فيها إلى أن توفاه الله .

المرحلة الأولى : مع الخليل عليه السلام في بلاد العراق

ويتجلى منهج الخليل في الدعوة في هذه المرحلة :

أولا : منهج الخليل عليه السلام في دعوته لأبيه :

سلك الخليل عليه السلام في دعوته لأبيه وقومه الحوار الهادئ ، فرزقه الله جنانا ثابتا ، وعقلا ثاقبا ، ولسانا صادقا ، وحجة دامغة ، وبرهانا ساطعا .

- كان والد الخليل مشركا يعبد الأصنام ، بل كان تاجرا يبيع الأصنام وسادنا لها فهو إذا من دهاقنة الكفر .

- عز على الخليل كفر أبيه وتنكبه طريق الحق ، وهو أقرب الناس إليه فخصه بالنصيحة ، ولم يأل جهدا بهذا في دعوة أبيه وتحذيره بأس الله وانتقامه .

- خاطب الخليل أباه بأسلوب يفيض رقة وعطفا وحنانا ولينا قائلا له كما حكي القرآن الكريم : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ مِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (١) .

بدأ الخليل عليه السلام بدعوة أبيه إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ، وتلك هي الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله تعالى ، فيجب علي الداعية أن يبدأ بنفسه ثم بأقرب الناس إليه . أقبل إبراهيم علي أبيه قائلا ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (٢) .

إن من مجافاة المنطق : أن تقصد إلى مالا يضر ولا ينفع . فما بال رجل عاقل يركن إلى صنم .فيلقي عقله حين يتجه بولائه إلى من هو أدنى رتبة منه ؟ لا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا .

إن العبادة في أجلى معانيها هي : غاية التعظيم فكيف يتجه بها إلى من هو غاية في التحقير؟ لقد فقد عناصر الحياة . وفاقد الشيء لا يعطيه ..... وأجدر بنا أن نزهد فيه .

وإذ يبدوا المنطق هنا قويا ... من شأنه أن يوقظ النوام ، فمن المحتمل أن يستيقظ المدعو فعلا على صوت الحق الراعد .... يعاند ولا يساعد، وربما أخذته العزة بالإثم فظن

---

(١) مريم / ٤١- ٤٤ .

(٢) مريم/٤٢ .

أنه والد ، ولديه دون ولده من الخبرة والتجربة والعلم ما ليس عنده ... فكيف سولت له نفسه أن يواجه السن والتجربة هذه الدعوى [١] .

سلك الخليل في دعوته لأبيه أحسن منهاج ، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وجميل خلق ، فلم يسفه عقل أبيه فتأخذه العزة بالإثم ، حيث طلب إبراهيم من أبيه علة عبادته لما لا ينفع ولا يضر ولا يستحق العبادة أصلا ، ويترك عبادة الله الخالق الرازق النافع المحيي المميت ، فكيف يستسيغ هذا عاقل [٢] .

تلطف الخليل بأبيه وترفق به وهو يدعوه إلى الله فلم يصف أباه بالجهل المفرط ، ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه بين أن معه طائفة من العلم ليست مع أبيه ، وعلم الدلالة على الحق والطريق السوي ، فلا تستنكف يا أبت من قبول الحق الذي جئتك به [٣] . قال تعالى ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ [٤].

وإذا كانت الهداية غاية الدعوة العظمى كما يشير القرآن ﴿ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ [٥] . فمن الوفاء لهذه الغاية أن تكون وسيلتها كذلك على مستواها رفعة وسموا ... إن الهداية نور ، وفي النور معنى الرفق والوضوح والانكشاف .

إذن فلنجعل الدعوة نورا يكشف الغامض ، ويجلي الخفي لتتراءى الحقيقة بكل زواياها ولكل ذي عينين .

وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام ...فجاءت دعوته على أوفى منهاج وأبلغ احتجاج ... لقد خاطب في أبيه العقل من قبل ..و ها هو ذا يخاطب فيه قلبه الشاعر ...

---

(١) محمود محمد عمارة : أصول الدعوة من قصة إبراهيم / ٣٧-٣٨

(٢) تفسير القاسمي ج ١١ / ١٢٨ – ١٢٩

(٣) راجع د/ عبد الكريم زيدان : المستفاد من القصص القرآني ج١ / ١٩٥

(٤) مريم / ٤٤

(٥) مريم/٤٣

فلعل قلبه أن يفيق على الحقيقة التي تفرض نفسها ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴾

ولاحظ هنا كلمة الشيطان وكيف يهذها القلب الغافل هزا لتنفر من شركه . والحس البصير يدرك ما في الكلمة من معان : العتو والتمرد، والبعد عن الحق، ثم ما تشير إليه من معاني الخفة والطيش والبطلان والاحتراق، ثم تكون الطاقة الكبرى أن يتخذ كائن هذا شانه إلها... وهو لا يقول له: لا تتبع الشيطان... وإنما لا تعبد الشيطان.

وعبادة هذا الكائن الشرير الرجيم لا تتصور: فقد تنقاد له حينا ولكنك لن تعبده؟ وقد باء بالخسران من يعبد الشيطان . إن الداعية هنا يتجه إلى وجدان المدعو ليهزه ، ويعمق وكأنما يقول له كيف تعبد الشيطان ؟ وعلى أي أساس ؟ كيف تعبد من قابل أنعم الرحمن بالعصيان فبلغ نهاية الطغيان .

يلاحظ أن إبراهيم عليه السلام لا يريد بمخاطبة القلب أن يضغط عليه ليفجره ، وإنما يريد فقط ليذكره . وأن يضيئ شمعة فلعلها تنير الطريق ، ولا يطلق صاروخا يدمر هذا الطريق ...وليبق طريق العودة مفتوحا .

وكيف :

١ – لم يؤكد الخليل وقوع العذاب ، وإنما يخاف فقط وقوعه إن العذاب المتوقع ، لا الواقع فعلا .

٢ – ثم إنه يخاف أن يمسه العذاب مسا ؛ يمسه ولا يسحقه .

ج – هذا العذاب الذي يخاف وقوعه من " الرحمن " ولم يقل من الجبار مثلا .

إن الداعية هنا حريص على هداية المدعو ...أثر لا يحمل خلف ضلوعه مشاعر الحسد والتربص وحب الانتقام ..بيد أن يعبد الطريق ، لعله أن يفيق ، يمهد الطريق أمام قلبه برفق ولين ، ولعله يلين [١] . ذكر الخليل لأبيه أن ما عليه من معتقد إنما هو نزغ من

(١) أصول الدعوة من قصة إبراهيم / ٣٩ – ٤٠ باختصار .

الشيطان وإن العاقل لا يقبل عبادة أو معبودا من وضع الشيطان ، لأن عداوته لله وللرسل وللإنسان قائمة [١] .

موقف آزر من دعوة الخليل إياه للإيمان :

أنكر على إبراهيم مجرد رغبته عن عبادته الأصنام فضلا عن إنكاره عليه دعوته إياه إلى التوحيد [٢] .

رد آزر على إبراهيم بكل جفاء وغلظة وجفوة ، فلم يخاطبه بلفظ النبوة بل قال : " أنت يا إبراهيم " ، بل توعده بالرجم بالحجارة لم يكف عند دعوته إياه . قال تعالى ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إبراهيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [٣] .

. إن آزر ينكر على إبراهيم كفره بآلهته ثم يواصل دفاعه مستميتا عن آلهته، مهددا برجمه . وهو بهذا العناد يعبر عن خلق الأولين الذين يفضلون القديم لقدمه مع أن القديم لا دخل له في التقويم .

لقد نجح الداعية في إعطاء المدعو حقه في البيان والبلاغ ، لكن المدعو لم يؤد واجبه : طاعة، أو تسريحا بإحسان حين أغمض عينيه، وسد أذنيه .

وهكذا لم يرد الوالد أن يستجيب ، وعلى الرفض مزيد من الغشم في قوله : ﴿ لأرجمنّك ﴾ مناديا له بالاسم المجرد متناسيا أن ابنه طالبا منه الجلاء ، بهذا الجفاء ﴿ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ [٤] .

---

(١) د / بكر ذكي : دعوة الرسل ج١ / ٢٨٧ .

(٢) ا.د مصطفي صميدة : خليل الرحمن ومنهجه في الدعوة / ٦ .

(٣) مريم/٤٦

(٤) أصول الدعوة من قصة إبراهيم / ٤٢-٤٣ باختصار

رد إبراهيم علي غلظة أبيه :

لم يفقد الخليل هدوءه وصوابه ورشده أمام تصرف أبيه المتشنج فخاطبه بلطف ولين، واعدا إياه بالاستغفار كما قال سبحانه: ﴿ قَالَ سَلَام عَلَيْك سَأَسْتَغْفِرُ لَك رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ (١) .

الحفي : البر اللطيف . يقال : حفيت بفلان ، وتحفيت به : إذ عنيت بإكرامه ، والحفي : العالم بالشيء (٢) . وقوله : ﴿ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ في مقابل قوله لأبيه عن الأصنام : ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (٣) .

إن العيب هنا في نفس المدعو ، لا في منهج الداعية . لقد قال إبراهيم لوالده في نفسه قولا بليغا... من شأنه أن يرفع قرار نفسه . ولكن ما رأيك في الأرض السبخة : لا تنبت كلأ ، ولا تمسك ماء. إن الموعظة في نفسها مؤثرة ، والداعية هنا على مستوى المسؤولية .ولكن القلب كالجسم . فالقلب الجامد : لا يستجيب للموعظة مهما كانت سائغة (٤) .

آزر هو والد إبراهيم :

ينص القران الكريم على أن آزر هو والد إبراهيم عليه السلام كما قرر سبحانه " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ تَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَة " (٥) .

فالقرآن يقرر كفر آزر ، وأن إبراهيم دعا والده إلى الله تعالى وأن يترك عبادة هذه الأصنام ،فكان يطمع في هدايته وإسلامه ، لكنه أصر على كفره وعناده . وبعد أن

---

(١) مريم/٤٧

(٢) الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القران / ٢٤٦

(٣) مريم/٤٢

(٤) أصول الدعوة من قصة إبراهيم / ٤٢-٤٣ بتصرف واختصار.

(٥) الأنبياء/ ٧٤.

تبين للخليل كفر أبيه تبرأ منه .

*ويرفض بعض العلماء كفر والد إبراهيم ، ويستبعدون نسبة إبراهيم لآزر ، فقد قالت الشيعة والشيخ محمد الشعراوي : " إن أحدا من أباء الرسول عليه الصلاة والسلام ما كان كافرا ، وأنكروا أن يقال : أن أبا إبراهيم كان كافرا . وذكروا أن آزر عم إبراهيم عليه السلام وما كان والدا له ، واجتمعوا علي قولهم هذا بأن أباء الأنبياء ما كانوا كفارا ، يدل على هذا ويقوم به البرهان من وجوه : منها قوله تعالي : ﴿ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُوم وَتَقَلُّبَكِ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [١] .

وقوله صلى الله عليه وسلم " لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات " وذلك يوجب أن أحدا من أجداده عليه الصلاة والسلام ما كان من المشركين فإذا ثبت هذا ثبت أن والد إبراهيم ما كان مشركا ، فوجب القطع بأن والد إبراهيم كان إنسانا غير آزر ، بل كان عما له ، أما والد إبراهيم فهو" تارخ " [٢] .

والذي أذهب إليه وأرجحه هو ما ذكره القرآن الكريم والسنة من أن آزر والد إبراهيم ، وهو ما قرره حبر الأمة ابن عباس والحسن والسدي وابن إسحاق ، .....وغيرهم [٣] .

أما دعوى كفر والد إبراهيم فإن هذا لا يعيب الخليل فقد أدى ما يجب عليه فدعاه ونصحه برفق ولين المرة تلو المرة ، إلا أنه أعرض ونأى بل توعده بالقتل والرجم . فقد كفرت امرأة نوح وابنه ، كما كفرت امرأة لوط .

---

(١) سورة الشعراء ٢١٨ – ٢١٩ .

(٢) محمد الفقي : قصص الأنبياء أحداثها وغيرها / ٦٥-٦٦ط ، الإمام الرازي مفاتيح الغيب ج ٦ / ٣٨٠-٣٨١ .دار الغد العربي ط (١) سنة ١٤١٢ هجريا. وراجع : تفسير الشيخ الشعراوي ج٦/ ٣٧٣١-٣٧٣٤ ، دار أخبار اليوم ط/١ .

(٣) أبو حيان التوحيدي :البحر المحيط ج٤ /١٦٣ ، مكتبة وهبة سنة ١٤١٠ هجريا.

أما قولهم : أن الأب يطلق على العم ، فإن الله جل وعلا لا يخاطب عباده إلا بما يفهمون ويعقلون ، ويتبادر إلى عقولهم وأفهامهم .

ثم إن دعوى : أن والد إبراهيم هو " تارخ " ما ذكره النسابون والمؤرخون . فهذه دعوى ينقصها الدليل و البرهان ، ثم إنها تخالف صريح القرآن و السنة وتلك شبهة يهودية وهي مخالفة القرآن للتوراة في نسب إبراهيم الخليل ففي القران (آزر) وفي التوراة (تارخ) . فالأنساب مختلفة بين التوراة السامرية والعبرانية واليونانية. وأن عدد السنين لكل أب من آدم إلى إبراهيم مختلف فيه بين نسخ التوراة الثلاثة " [1] .

* فمن ذهب إلى أن والد إبراهيم ليس (آزر) بل هو (تارخ) فذاك ليجمع بين ما جاء في التوراة والقرآن ، و لينفي التعارض في نسب الخليل بينهما .

فهذه حجة واهية فالقرآن هو الكتاب المعصوم الذي تولى الله حفظه بذاته العلية ، أما التوراة والإنجيل و الزبور وغيرهم فقد أصابهم التحريف والتبديل . لقد افترى القوم على الله فوصفوه بكل نقيصة كما افتروا على رسله ، أفيستبعد من القوم أن حرفوا في نسب الخليل عليه السلام .

فالقرآن نص على أن اسم والد إبراهيم (آزر) وقليلا ما يصرح القرآن بأسماء الأشخاص ، لأنه يبقيها مبهمة غالبا – حتى يريح المسلمين من عناء البحث عن اسمه ، وحتى لا يذهب أحدهم إلى التوراة المحرفة أو الإسرائيليات ليأخذ اسمه منها .

الأب يطلق في الحقيقة على والد الإنسان الذي أنجبه و خرج من صلبه . ولا ننكر أن الأب قد يطلق على العم ، لكن استعمال الأب في الوالد حقيقة، واستعمال الأب في العم مجاز، ولا يجوز العدول عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند تعذر حمل اللفظ على الحقيقة.

وهنا حمل اللفظ على الحقيقة غير مستحيل ولا متعذر، ولا محذور فيه . وكون

---

(١) حقائق الإسلام في مواجهة المشككين : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية /٤٦٥.

أب إبراهيم كافرا لا يعيبه ولا ينقصه.

(آزر) والد إبراهيم كان كافرا لأنه لم يتخذ الله رب العالمين إلها، وإنما اتخذ الأصنام آلهة وعبدها من دون الله [١] .

ومما يقرر ويؤكد كفر آزر والد إبراهيم وعبادته لغير الله آيات سورة مريم والأنبياء والشعراء التي ذكرناها قبل.

حقيقة استغفار إبراهيم لأبيه :

لقد وعد الخليل أباه بأن يستغفر له لعله أن يرجع إلى رشده وصوابه ويترك ما هو عليه من باطل وضلال وعبادته أوثان، ويعبد الواحد الديان . .

ولكن كيف استغفر إبراهيم لأبيه ؟ وهل يجوز الاستغفار لأهل الشرك ؟

*إن الأصل في الأشياء الحل والإباحة ما لم يرد نص بالتحريم ، ومن هذا القبيل حال الأنبياء مع أهليهم وذويهم. فقد دعا نوح ربه بأن ينجي ولده العاصي بحكم عاطفة الأبوة ، فنهاه الله عن ذلك، فقال سبحانه : ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٢] . فلما تبين لنوح ذلك أعلن براءته من ولده .

وقد ابتلى الخليل بكفر والده فحرص غاية الحرص على هدايته ،وسلك معه سبيل الرفق واللين ،وخاطبه وحده، وبين له ضلال معتقده، إلا أن والده أصم أذنيه وأغلق قلبه وتوعـــد إبراهيم بالرجم والقتل [٣] ، فوعد الخليل أباه بأن يستغفر له قال تعالى : ﴿ قَالَ سَلَام عَلَيْك سَأَسْتَغْفِرُ لَك رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ [٤] فاستغفر الخليل لأبيه لأنه

---

(١) د/ صلاح الخالدي : القصص القرآني ج١ /٣٢٣-٣٢٤ بتصرف ويسر.

(٢) هود /٤٠

(٣) راجع دكتور : بكر ذكي : دعوة الرسل ج١/٣٠٥

(٤) مريم/ ٤٧

وعده طمعا في إيمانه وإسلامه ولكن آزر أصر على الكفر والعناد.

فلما تبين للخليل كفر أبيه وإصراره على عبادة الأصنام، و عدم إيمانه بالله تعالى، قطع الخليل استغفاره لأبيه، بل و أعلن براءته منه ، فآزر أصبح عدوا لله بسبب اتباعه وموالاته للشيطان .قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقد ضرب الله المثل بإبراهيم والذين معه في هذا الموقف . قال تعالي : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

بين إبراهيم وأبيه يوم القيامة :

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : " يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة ، وعلى وجه آزر قترة وغبرة . فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصني . فيقول له أبوه : اليوم لا أعصيك . فيقول إبراهيم : يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون ، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ فيقول الله : أني حرمت الجنة على الكافرين . فيقال : يا إبراهيم انظر ما بين رجليك ، فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه، فيلقى في النار " (٣) .

---

(١) التوبة / ١١٤

(٢) الممتحنة / ٤

(٣) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٥٠) باب قوله تعالى و اتخذ الله ابراهيم خليلا ج٦ (٤٤٥-٤٤٦).

يتساءل الخليل كيف ستكون نهاية أبيه ؟ ويقول ربه : لقد وعدتني أن لا تخزني يوم القيامة ، وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ؟ وكيف ستتفق هذه النهاية مع عدم حصول الخزي لي لأنه أبي ؟

وليس في هذا القول من إبراهيم شفاعة لأبيه يوم القيامة ، أو طلبا من الله بأن يدخله الجنة ، فقد تبرأ الخليل من أبيه في الدنيا بعد أن تبين له إصراره علي الكفر وعبادة الأوثان . ويطمئن الله إبراهيم بأنه لن يصيبه خزي بسبب كفر أبيه ، ولذلك فلن يدخل النار علي صورته الآدمية البشرية المعروفة ، حتى لا يقال : انظروا هذا آزر والد إبراهيم ، يؤخذ به ليلقى في النار [١] .

وإنما يمسخه الله فيحوله إلى صورة حيوانية (ذيخ) وهو ذكر الضبع كثيف الشعر ، ملطخ برجيعه وأوحاله أو قاذوراته ، وهي صورة مقززة منفرة .

وتلك هي نهاية والد إبراهيم يوم القيامة ، لأنه كان في الدنيا في درك دون درك الحيوانات وألغى عقله الذي كرمه الله به وأغلق قلبه، فاستحق ذلك الخزي .

ثانيا:منهج الخليل فى دعوته لقومه (عباد الأصنام) :

كان على الخليل عليه السلام أن يدعو قومه عباد الأصنام الذين ألغو عقولهم فجعلوها تحت أقدامهم ،فواجه قومه و حاورهم في آلهتهم التي اتخذوها آلهة من دون الله ، فخاطب عقولهم ، وفند حجتهم الباطلة ، و أقام الأدلة الدامغة على عظمة الخالق سبحانه و تعالى ، فكانت تلك المناظرة التي سجلها القرآن في غير ما سورة قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴾ [٢] .

---

(١) الخالدي: القصص القرآني : ح١/٣٢٨-٣٢٩بتصرف و اختصار.

(٢) الأنبياء/٥١-٥٣

أخبر الحق تبارك و تعالى أنه آتى الخليل رشده قبل أن يتوجه إلى قومه ليدعوهم إلى الله تعالى .

إبراهيم الخليل يبطل عبادة الأصنام:

استعمل الخليل عليه السلام في إبطاله لعبادة الأصنام المناظرة ؛ فناظر قومه وحاورهم وأقام عليهم الحجة و ألزمهم المحجة ،فابتدأ المناظرة بسؤاله عن ماهية الأصنام (حقيقتها) ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ (١). و "ما " يُسأل بها عن الحقيقة ، فكان الجواب المطابق الذي يجب أن يجيبوا به الخليل أن يقولوا : تماثيل من حجر فهي مادة ، والمادة لا تعطي خصائص الروح.....لقد كان قوم الخليل أذكياء فأجابوا الخليل لا عن حقيقة الأصنام . ولكن عن غاية صنعها وهي عبادتها ، ولا حجة لهم لتبرير عبادتها إلا مجاراة آبائهم تقليدا أعمى (٢) .

- وبما أن القوم متابعون مقلدون لآبائهم فلابد أن يهزهم الخليل هزا قويا وأن يثيرهم في خطابه لعلهم يستيقظون ولهذا فاجأهم قائلاً: ﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) . فوجئ القوم بكلامه واتهامه لآبائهم فظنوه هازلا لاعبا : ﴿ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ الأنبياء/٥٥

ظن القوم أن موضوع العقيدة والإيمان يمكن أن يكون خاضعا للعب واللهو . فأزال الخليل ظنهم ، وقدم لهم الحقيقة واضحة ، وعرفهم على طبيعة الإيمان . فالرب لابد أن يكون خالقاً ولابد أن يكون مالكاً : ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (٤) . .

---

(١) الأنبياء/٥٢

(٢) د / مصطفى صميدة / خليل الرحمن ص ١٠.

(٣) الأنبياء/٥٤

(٤) الأنبياء/٥٦

وبعد أن بين الخليل لقومه فساد معتقدهم و سفاهة عقولهم ، وأن هذه الأصنام لا تنفع و لا تضر ، وكشف لهم عن عقيدته و إيمانه . وذكرهم بالبعث والنشور ، وما يلقى فيه المجرمون من خزي ونكال ، وما يلقى فيه المؤمنون من نعيم مقيم.

- وجد الخليل أن القوم ألغوا عقولهم ، و لا يؤمنون إلا بالمحسوس المشاهد فأراد أن يلقنهم درساً عساهم أن يعودوا إلى عقولهم ، فما كان منه إلا أنه حطم أصنامهم ، و كسر آلهتهم المزعومة فأزال الغشاوة عن أعينهم لعلهم يروا النور ، فالأصنام هي الحجاب الحاجز الذى يحول بينهم و بين الإيمان ، و هي السبب في رفضهم دعوته ، فكان تحطيمه للأصنام بهذه النية .

قال تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) ﴾ .

* أخبر الخليل قومه بعزمه على كيد أصنامهم ، و لكن خفية وليس أمامهم ﴿ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ .

لقد كان موقف الخليل مع قومه صريحاً ، و كان فعله علنيا مكشوفاً. علم القوم أن الخليل سيوقع بأصنامهم ضرراً و شراً و لكن ما هو ، متى ؟ لم يخبرهم بهذه التفاصيل كي لا يأخذوا حذرهم ، فهو وحده سيد الموقف ، وهذا من الخليل حسن إدارة للمعركة و المواجهة بينه و بين قومه ....و على الدعاة أن يقتدوا بإبراهيم في هذا الجانب ، و أن يملكوا الخطوات المدروسة الذكية في مواجهتهم لأعدائهم ، و أن لا تكون خطواتهم مجرد ردود أفعال على قرارات الأعداء [١] .

اختار الخليل الوقت المناسب لتنفيذ خطته ؛ فكان اليوم يوم عيد لهم يخرجون فيه

---

(١) الخالدي القصص القرآني / ٣٤٢-٣٤٣

فيلعبون و يلهون و يفجرون و يشركون بالله ، دعوا الخليل للخروج معهم فاعتذر قائلا : ﴿ إِنِّي سَقِيم ﴾ أي بسبب كفرهم و شركهم بالله و إعراضهم عن دعوة الحق . وظن القوم أنه مريض مرضاً جسيماً " فتولوا عنه مدبرين " ويظهر أن القوم قدموا طعامهم للآلهة المزعومة لتباركه ، لذا أقبل الخليل على الأصنام بفأسه مخاطباً إياها على سبيل السخرية والاستهزاء و التحقير من شأنها قائلاً : ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴾ [١] . ثم أهوى إليها يحطمها بفأسه حتى جعلها ركاماً من الحجارة الصغيرة المتناثرة ، ولم يترك إلا صنماً واحداً هو أكبرها علق عليه الفأس ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ" " فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ(٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) ﴾ [٢] .

لقد ترك الخليل الصنم الكبير دون تحطيم لغاية بينة لعلهم يرجعون ويسألونه عمن فعل ذلك ، لأنهم عندما يعودون إلى آلهتهم سيجدونها محطمة مهمشة ، وسيفاجأون بهذا ، ولا يعرفون من حطمها . وحينئذ يجب عليهم أن يسألوا الصنم الكبير، ألم يكن شاهداً تحطيم الآلهة الصغيرة ؟ فهو يعرف الشخص الذى حطمها ؟ إذا عنده الخبر اليقيني [٣] .

محاكمة الخليل عليه السلام :

لما رجع القوم من عيدهم ، ووجدوا ما حل بآلهتهم ، قالوا على سبيل البحث و الاستنكار: " مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ" و تذكر القوم التهديد الذي صدر من الخليل قبل أن يذهبوا إلى عيدهم . إذاً إبراهيم هو الذى حطمها ، و لابد أن يحاكم على فعلته أمام الناس ، و أن ينال جزاءه و عقابه ليكون عبرة لغيره ممن تسول له نفسه .

---

(١) الصافات /٩١-٩٢

(٢) الصافات /٩١/٩٣

(٣) المصدر السابق ح١ /٣٤٩

" قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) ﴾ [1] .

بهذا الأسلوب الساخر القاتل يجيب الخليل على اتهام القوم له : بل فعله كبيرهم هذا . لقد غار الصنم الكبير و غضب من هذه الأصنام الصغيرة لعبادتكم إياها ، فلما احتدم الخلاف انتقم لنفسه فكسرها بفأسه ، و إن كنتم لا تصدقون ﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ إنما أراد الخليل بهذا القول أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون ، و أن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لأنه جماد.

وما أسرع الأثر الذي تركته هذه الكلمة في نفوسهم ، و أدركوا صدق إبراهيم في قوله ، فرجعوا إلى أنفسهم موبخين لها على عبادتهم أصناماً ضعيفة عاجزة لا تضر و لا تنفع ، اعترفوا بالحق قائلين : ﴿ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، راجع القوم عقولهم ، وراجعوا بعضهم بعضاً رجوع المنقطع عن حجته المتفطن لصحة حجة خصمه. ﴿ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

إشراقة من نور عاودت القوم فاعترفوا للخليل وهم ناكسوا الرؤوس ، تعلوا وجوههم ذلة بأن هذه الآلهة لا تنطق فكيف نسألها . إنه بصيص من النور تسلل إلى العقول ، سرعان ما انقشع ، و بارقة هداية سرعان ما انتكست . لقد لمس إبراهيم بكلامه قلوبهم لمسة سريعة ، و نجح في إقامة الحجة عليهم ، وفي إفحامهم و هزيمتهم . إنه داعية ناجح ، ومجادل موفق ، وإن خطواته مدروسة ومقصودة وهادفة . اعترف القوم

---

(١) الأنبياء/ ٦٠-٦٧

في داخلهم أن إبراهيم على حق ، وأنه ليس ظالماً في تحطيمه الأصنام ، بل هم الظالمون في عبادتهم لها .

* إنها لحظة صدق يمرون بها ، و إنها ومضة نور نجح إبراهيم في إيصالها إلى قلوبهم ، فأشرقت بها لحظة ، ثم أظلمت من جديد [١] .

* كانت انتكاسة القوم سريعة ، أحسوا أن الخليل انتصر عليهم ، وأنهم قد هزموا وغلبوا ، لهذا خاطبوا الخليل خطاباً كله خزي وذل ومرارة ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ كيف تقول لنا اسألوهم إن كانوا ينطقون ، وأنت تعلم أنها لا تنطق ، فعندها قال لهم الخليل لما اعترفوا بذلك : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٢] .. سجل الخليل عليه السلام قمة انتصاره عليهم ، وظهر بمظهر القاضي في المحكمة الذى يصدر حكمه على المجرم ، ويذمه ويلومه و يعنفه ويقرعه .

إنه لا يعبد إلا الله القوي القهار ، الذي يقدم لعباده الخير و النفع ، و يدفع عنهم الضر و الشر . ناسب الموقف أن يهز الخليل قومه هزة عنيفة ، و أن يخاطبهم خطاباً قوياً "أُفٍ لَكُم" إنكار لما هم عليه من باطل و ضلال.

وختم الخليل بيانه لقومه و إفحامه لهم بقوله : ﴿ أَفَلَا تَعقِلُونَ ﴾ فهذا إنكار آخر لهم ، وإقرار أنهم لا يعقلون .. لا يستخدمون عقولهم ، ولا يؤثر فيهم المنطق العقلي ، لأنهم عطلوا عقولهم بكفرهم وضلالهم .

أرادو محاكمة الخليل فحاكمهم ، و أرادوا إدانته فأدانهم ، و غلبهم بمنطقه الإيماني ، وحجته العقلية انتصر بالحق الذى يمثله ، والهدى الذي يحمله ، وهذا هو منطق الحق

---

(١) الخالدي / القصص القرآني ج١ /٣٥٦ وراجع : النشرتي : القصص القرآني ح١ /١٨٠-١٨١ عبد الكريم زيدان :المستفاد من القصص القرآني /٢٠٠ .

(٢) الأنبياء/٦٦-٦٧

دائماً [١] .

إلقاء القوم له في النار و إنجاء الله له :

هُزم القوم أمام حجة الخليل الدامغة و منطقه الواضح ، و براهينه الساطعة ، و اعترفوا بهزيمتهم ، لقد سُقط فى أيدي القوم ، و مضت حجتهم ، و انكشفت سوأتهم ،و لم يجدوا ما يردون به حجة إبراهيم إلا سلاح كل جبار عنيد عندما يفلس في إقامة البرهان ، ويعجز عن مواجهة الحجة بالحجة، ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ وهكذا أجمع القوم على حرق الخليل عليه السلام ، وهذا أسلوب العاجز الضعيف عن مواجهة الحق بالحجة ، يلجأ إلى استعمال اليد والقوة والبطش والإرهاب والتنكيل ، وأصدروا حكمهم بحرقه ولكن الله نجاه منها وجعلها عليه برداً وسلاماً قال تعالى : ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ(٩٨) ﴾ [٣] .

أجمع القوم على الخلاص من إبراهيم إما بالحرق أو القتل ، كما أشارت آية العنكبوت إلا أنه استقر رأيهم على حرق الخليل ، و نادوا في الناس بأن يهبوا لنصرة آلهتهم العاجزة التي كسرها الخليل قال تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤] .

وبنى القوم بناء خاصاً وأضرموا النيران وألقوا الخليل من فوقه . وعندما أُلقي

---

(١) الخالدي: القصص القرآني ج١/٣٥٨ .

(٢) الأنبياء/٦٨-٧٠

(٣) الصافات /٩٧/٩٨

(٤) العنكبوت/٢٤

الخليل في النار ضجت السموات بسكانها والأرض بأهلها الكل يستغيث بالله ، وأستأذنت المخلوقات في نصرة إبراهيم ،فقال الله تعالى :إن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره ، فقد أذنت له في ذلك ، فإنه لم يدع غيري فأنا وليه ، فخلوا بيني وبينه ، فأنا أمنعه ، فلما ألقوه فيها قال: ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ فكانت كما قال الله تعالى [١] .

لاذ الخليل بجناب الله و تضرع إلى مولاه ، فكانت أول كلمة قالها حين ألقي في النار: حسبنا الله و نعم الوكيل ، كما جاء في البخاري من حديث ابن عباس : "حسبنا الله و نعم الوكيل قالها إبراهيم حين ألقي في النار و قالها محمد (صلى الله عليه وسلم) حين قيل له : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " [٢] .

إن هذا الموقف الإيماني من الخليل عليه السلام معلم بارز من معالم العقيدة والدعوة ، فيجب على الدعاة إلى الله أن يقتدوا بالخليل في إخلاصه لله وحسن توكله على الله ، و يقينه به .

وكان الله مع خليله حين ألقي في النار ، فكانت برداً و سلاماً عليه ، و فتح الله له من رحمته ، فحول الله الضيق و الكرب إلى فرج و سعادة ، و النار إلى برد و سلام . قال تعالى : ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخسْرِينَ ﴾ [٣] .

ثانيا : منهج الخليل عليه السلام في دعوته للملك المتأله :

سلك الخليل عليه السلام في الدعوة سبيل التدرج و المرحلية حيث ابتدأ بدعوة

---

(١) محمد بن جرير الطبري ج تاريخ الرسل والملوك ح١/٢٤٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير(٤٥٦٣) باب "الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم"ج٨/٧٧.

(٣) الأنبياء/٧٠.

أبيه ، و كان أثناء حواره معه مراعياً حق الأبوة، ثم انتقل من حوراه لأبيه إلى قومه عباد الأصنام فأقام عليهم الحجة و ألزمهم المحجة ، انتقل إلى دائرة أوسع ، ثم كانت الخطوة الثالثة و هي دعوة الملك المتأله رأس القوم .

ولا شك أن أصداء دعوة الخليل لقومه وصلت إلى البلاط الملكي ، وأن يكون الملك سمع بها ، لذا توجه الخليل عليه السلام إلى الملك مناظراً ومحاوراً ومجاوراً .

أما اسم هذا الملك و مملكته و نهايته ، فهذا من مبهمات القرآن ، مما أعرض القرآن عنه صفحاً ، حيث أن القرآن يهتم بالأحداث و العبر دون الأسماء إلا إن كان في ذلك مصلحة . أوضح القرآن أن ذلك الملك كافر وأنه ادعى الأولوهية ، فناظره الخليل و حاجّه و أفحمه وأقام عليه الحجة التي لم يُحر معها جواباً . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

و ذلك الملك المتكبر المتجبر المدعي للربوبية مذكراً إياه بقوة الخالق و عظمته ، إلا أن الملك المتجبر رفض دعوة الخليل الموجهة إليه ليذعن و ليستسلم لبارئ السموات و الأرض مغترا بملكه الذى أعماه عن قبول الحق و الهداية .

الحياة و الموت بين الأسباب و المسببات :

سأل الملك إبراهيم الخليل عن ربه ، فأجاب الخليل مدللاً على قدرة الخالق سبحانه ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (٢) .

إن قضية الخلق والإيجاد والإماتة معلومة للناس قاطبة ، فالله الذي خلق الخلق

---

(١) البقرة /٢٥٨

(٢) البقرة/٢٥٨

فأحياهم وأوجدهم من العدم ، ثم بعد ذلك يتوفاهم ، فالكل يُقر بهذا ، إلا أن هذا الجبار المغرور الذي دعا الناس إلى عبادته ، ودعا نفسه إلهاً مع الله ، قال للخليل إن كان إلهك يحيى ويميت فأنا أحي وأميت ، وأخرج رجلين من السجن قد إستوجبا القتل (الإعدام) فقتل أحدهما وعفا عن الآخر وأطلق سراحه ، ثم قال للخليل أمت هذا(مشيرا إلى الذي قتله)، وأحييت ذاك – مشيرا إلى الذي عفا عنه – .

وجد الخليل نفسه أمام رجل مغرور أحمق ، لا يفرق بين الأسباب و المسببات ، فجعل السبب مسبباً .

لم يغلق الخليل باب الجدال والحوار ، بل قذفه بحجة أفحمته ، وألقمه حجراً أخرس لسانه ، و أظهر كذبه و ادعاءه و غروره و فجوره ، فقال كما حكى القرآن : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ فإن سلم الخليل جدلاً بفرية الإحياء و الإماتة ليأتيه بشئ لا يستطيع دفعه ، ولا يقدر على ادعائه بأي طريقة صبيانية كالتي تبجح بها فأعجزه وأبهته ، و ألزمه الحجة ، ووضعه على المحجة البيضاء ، لكنه أبى و استكبر و طغى و تجبر [١] .

وأما غفلة الملك و بلاهته عن التفريق بين الأسباب و المسببات ، لم يشأ الخليل أن يسترسل معه في جداله في هذه المسألة بل انتقل إلى مثال أكثر وضوحاً على وحدانية الله ، و أوضح دلالة على عجز الملك ؛ إنه تغيير حركة الشمس ، إن هذا أبرز دليل على وحدانية الله تعالى ، هل يستطيع كافر مهما بلغ من القوة أن يغير حركة الشمس أو يتحكم فيس سيرها و دورانها و لا يملك أمام هذا التحدي إلا أن يُبهت ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [٢] .

لقد تمنع الخليل عليه السلام في خطابه للملك المتأله الظالم بالجرأة و العزة

---

(١) انظر : د/ محمد بكر اسماعيل/قصص القرآن: ٦٤،الخالدى:القصص القرآنى٣٣٧-٣٣٩

(٢) البقرة/٢٥٨.

والشجاعة فلم يرهبه و لم يضعف أمامه ، ولم يحيد عن قول الحق و لم يتلعثم ، أو يراهن أو يماري في تبليغ دعوة الحق و إقامة الحجة على المعاندين الجاحدين .

رابعاً: منهج الخليل عليه السلام فى دعوته لعباد الكواكب :

هل كان الخليل عليه السلام يبحث عن إله :

يذهب بعض المفسرين كالطبري [١] إلى أن مناظرة و محاورة الخليل عليه السلام لعباد الكواكب إنما كان مرحلة متقدمة في حياة الخليل وذلك قبل النبوة ، وأنه في موقف نظر وبحث ، يبحث عن الإله الحق الذى يجب أن يعبد، لا هذه الكواكب والنجوم التي يعبدها قومه بدليل قوله ﴿ هَذَا رَبِى ﴾ .

و ذهب جماهير المفسرين قديما و حديثاً إلى أن هذه المناظرة كانت بعد النبوة وهذا ما أميل إليه بدليل قوله تعالى في أول القصة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [٢] .

كما أن الخليل عليه السلام كان في مقام المناظرة و المجادلة و المحاورة فسلك في دعوته لهم طريق الاستدراج ، فأوهمهم أنه يُقر بمعبوداتهم و أنه على دينهم ، متخيراً الوقت و الظرف المناسب ، ثم كر هادما لهذه الآلهة المزيفة .

ابتدأ الخليل في مناظرته قومه لإبطال عبادة الكواكب بأن جاراهم في المناقشة ، بأن خلع من نفسه شخصاً على ملتهم فبمجرد ما نظر إلى كوكب قال هذا ربي ، فلما غاب قال : ربي و رب العالم ثابت لا يغيب .

ناظر الخليل قومه في عبادتهم للكواكب، وأرخى لهم العنان ليستدرجهم حتى يصل

---

(١) تفسير الطبري : ج٧ / (١٦٣-١٦٥).

(٢) الأنعام /٧٤-٧٥

إلى ما يريد ، ولم يهاجم هذه الكواكب ابتداءاً ، ولكنه تظاهر باتخاذها آلهة ليستميلهم ، ثم يكر عليها فيظهر عيبها بطريقة لا يستطيعون إنكارها [١] .

فإبراهيم عليه السلام كان يناظر قومه ، ولم يكن نتيجة تأمله في الكون ونظره فيه .لأننا لو اعتبرنا هذه النتائج ثمرة نظره في الكون و تدبره ، لكان هذا دليلاً على أن الخليل كان معتقداً في بداية أمره بألوهية هذه الكواكب ، ولما رأى أفولها وجد أنها لا تصلح أن تكون آلهة تبرأ منها ، لأن هذا القول ينافي الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها قال تعالى في الحديث القدسي : "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ....." [٢] .

فالفطرة هي معرفة الله و توحيده التي جبل الخلق كلهم عليها و التي عبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " [٣] .

إن هذه الكواكب لا تصلح أن تكون آلهة ، لأنه يعتريها الأفول والنقص ، والإله الحق لا يغيب عن خلقه ، متصفا بكل كمال وجلال وجمال، لا تدركه الأبصار ولا تحيط به العقول والأفهام .

قال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ

---

(١) انظر / خليل الرحمن /١٧ ، نظرات في أحسن القصص ح١ /١٧٣ -١٧٤

(٢) رواه السيوطي في الدر المنثور ج٢(٢٦)، والطبراني في الكبير ج١٧(٢٦٣).

(٣) متفق عليه :رواه البخاري في كتاب الجنائز (١٣٣٥) باب ما قيل في أولاد المشركين ج٣(٢٩٠). ومسلم في كتاب القدر (٢٣) باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ج٤ (٢٠-٢٧) .

الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١] .

تخير الخليل عليه السلام الوقت المناسب ، فالقوم مجتمعون ، وقد أرخى الليل سدوله وعم الظلام ، وبدا في الأفق كوكب ، فقال الخليل مجارياً قومه مستدرجاً إياهم "هَذَا رَبِي " أي كما تعتقدون وتزعمون ، فلأسلم معكم جدلاً أنه رب ، وتعالوا ننظر هل هو رب فعلاً ، وبعد قليل غاب ، هل الرب يغيب ؟ هل الرب يعتريه الأفول عن ملكه؟ فمن يدبر أمر الكون بعده ؟ إن الكوكب لا يصلح أن يكون إلهاً . فشأن الإله الحق أن يكون دائم المراقبة لتدبر عباده.

ثم بين سبحانه حالة ثانية من الحالات التي برهن بها الخليل على وحدانية الله فقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّين ﴾ [٢] .

رأى الخليل عليه السلام القمر و قد نشر نوره و بدد ظلام الليل و هو أكبر من سائر الكواكب ، إذاً هذا يصلح أن يكون رب حسب اعتقادكم ، و بعد برهة غاب القمر عن العالم ، فلما أفل أظهر الخليل أن الأمر محير ، و أنه يجب على المرء أن يفكر ليهتدي إلى الإله الحق الذى لا يعتريه أفول أو نقص .

وفى الصباح أشرقت الشمس بضيائها ، وملأ نورها الدنيا كلها قال الخليل هذا ربي هذا أكبر، فهي أكبر الأجرام ، وأعظمها قوة ، وأشدها إضاءة ، فلما أفلت و غابت ، جاهر الخليل قومه بالنتيجة التي ناظر قومه من أجلها وهي البراءة من كل معبود سوى الله تعالى.

لقد نجح الخليل في نقاش و جدال قومه ، وإقامة الحجة عليهم ، وكان في مقام

---

(١) الأنعام /٧٦-٧٩

(٢) الأنعام /٧٧

مناظرة وبرهان ودعوة ، واستخدم معهم المنطق البرهاني و وسائل الإيضاح ، فخاطب عقولهم و قلوبهم ،إذا من هو الإله الذي يجب أن يعبد، إنه رب العالمين [١] . قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [٢] .

ثناء الله تعالى على منطق الخليل و حجته :

كان الخليل عليه السلام مؤمناً بالله تعالى ، داعياً قومه إلى أن يتركوا عبادة الأصنام و الكواكب، وكان في موقف مناظرة ومحاورة قبل أن يقول "هَذَا رَبِي "ليقيم على قومه الحجة والبرهان [٣]. بدليل قول الله تعالى في بداية الآيات : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ..... ﴾ [٤] .

فهو قبل أن يقول مقولته هذه أنكر على أبيه عبادة الأصنام ، بل إن الذي ألهمه هذا الأسلوب وتلك الحجة هو رب العالمين كما أخبر عقب هـذه المناظرة حيث قال : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [٥] .

* وهذه المناظرة لم تكن قبل البعثة بل كانت بعدها بدليل قول الله تعالى عقب المناظرة : ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا

---

(١) راجع : ابن كثير ج٢ (١٤٢-١٤٤) ،القرطبي ج٣(٢٥٤٦-٢٥٥٠)، الرازي :ج٦(٣٨٥-٤٠٥).

(٢) الأنعام /٧٨-٧٩

(٣) راجع : السابق.

(٤) الأنعام/ ٧٤-٧٦.

(٥) الأنعام /٨٣

أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) .

كما يجب على الدعاة والمصلحين أن يقتدوا بالخليل عليه السلام في أسلوبه في الدعوة ، وفي المحاجة و المناظرة حتى تؤتي الدعوة أكلها .

(١) الأنعام / ٨٠

الفصل الثالث

أساليب الخليل إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى

الأساليب هي الطرق والوجوه والمذاهب والفنون التي يسلكها الداعية حسب التيسير والنفع في دعوته الناس إلى الله تعالى .

ولقد سلك الخليل عليه السلام في دعوته لأبيه وقومه عباد الأصنام ، وعباد الكواكب والملك المتأله الكثير من الأساليب المتنوعة والتي يجب أن تكون نبراسا للدعاة يقتدون بالخليل ويأتمون به وهذه الأساليب يمكن تقسيمها إلى قسمين :

ا – الأساليب النظرية .

ب – الأساليب العملية.

أولا : الأساليب النظرية

١ – الاستعطاف :

هو العطف واستمالة القلب ، العطف : الميل والشفقة [١] .

فها هو الخليل يستدر عطف أبيه ، ويذكره عاطفة الأبوة "يا أبت " دون أن يذكر اسمه ، زيادة في احترامه واستمالة قلبه للحق قال تعالي : " وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا " [٢] . أي : واذكر خبر إبراهيم وقت أن قال لأبيه مستعطفا إياه : يا أبت لماذا تعبد شيئا لا يسمع من يناديه ، ولا يبصر من يقف أمامه ، ولا يغني عنك شيئا ، لأنه لا يملك لنفسه – فضلا عن غيره– نفعا ولا ضرا .

إبراهيم عليه السلام ينكر على أبيه الكفر ، ويدعوه إلى الإيمان ، لكن خطابه له

---

(١) القاموس المحيط ج١٧٦/٣ .

(٢) مريم / ٤١– ٤٢

بمنتهي التحبيب والإشفاق والهدوء والبر ، مكررا " يا أبت " [١] . إن هذا الأسلوب الذي اتبعه الخليل في دعوته لأبيه غاية في اللطف واللين ، يتكلم من صميم قلبه ويبذل قصارى جهده .

* فالاستعطاف من صفات الداعية الناجح الذي يجذب القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة ، ويأتي بالخير بدلا من الزجر والتأنيب والتوبيخ .

٢ – المناظرة والمحاورة والمحاجة :

هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب [٢] .

فمناظرة الخصم ومحاورته و مجادلته لإظهار الحق وبيانه، وتفنيد حججه وأباطيله وضلالاته هي الغاية من المناظرة والمجادلة : الوصول إلى الحق لا اتباع الهوى ومغالبة الخصم أو حب الظهور .

حاور الخليل والده وبين له طريق الهداية كما ناظر وجادل قومه، فبين لهم ضلال أصنامهم وكواكبهم وأنها مخلوقة مربوبة [٣] ، كما ناظر وجادل الملك الذي ادعى الربوبية فألزمه الحجة وأفحمه ، وألقمه حجرا لم يحر جوابا معه [٤] .

٣ – الاستدراج :

هو أن يوهم الداعية الخصم (المدعو) أنه موافق له في اعتقاده وأقواله ثم يكر مفندا وهادما مبنيا له عقيدته الحقة التي يجب أن يؤمن بها [٥]. وهذا ما فعله الخليل عليه السلام

---

(١) راجع د /الخالدي ج١ / ٣١٩ ، د/ محمد سيد طنطاوي : القصة في القرآن الكريم ج١ / ٣١٦ .

(٢) القاموس المحيط ج١/١٨٢،ج٢/١٤٤،١٥–١٤٥.

(٣) جاء في سورة الأنعام الآيات (٧٤–٨٣) ، مريم /٤١–٤٩ ، الأنبياء /٥١–٧٠ ، الشعراء / ٧٠–١٠٣ ، العنكبوت م١٦–٢٥ ، الصافات / ٨٥–٩٨ .

(٤) سورة البقرة / ٢٥٨ .

(٥) القاموس المحيط . ج١/١٨٨ .

مع قومه عباد الكواكب حيث أوهمهم أنه يؤمن بالكواكب فلما أفل تبرأ منه مبينا أنه لا يصلح أن يكون إلها، وهكذا عندما ظهر القمر والشمس ، ثم تبرأ من هذه الآلهة المزعومة ، موضحا عقيدته الحقة التي يجب عليهم الإيمان بها ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

٤ – إظهار الحرص على خير المدعوين :

أظهر الخليل عليه السلام حرصه على خير المدعوين كما في حواره مع أبيه في سورة مريم ، وحواره مع قومه كما في سورة العنكبوت ، لأن النفس مفطورة على حب الخير العاجل ، وهي تستجيب للدعوة إلى حين تسلم من المكابرة (٢) . قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) .

٥ – استثارة الخصم :

هو استثارة حفيظة المدعو واستفزازه ليستيقظ عقله من سباته وغفوته ليرى نور الحق عساه أن يفيء إلى رشده فيتبع الحق *.

والخليل عليه السلام أثار حفيظة قومه – عباد الأصنام – عندما كسر الآلهة المزعومة ، تاركا أكبرها وقد علق الفأس في عنقه ليحتج به عليهم فيكبتهم كيف تقع هذه المصيبة الفاجعة وهو حاضر لم يحرك ساكنا فيدافع عن صغار الآلهة ، أم أنه غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الأصنام فكسرها .

---

(١) الأنعام / ٧٨ – ٧٩ .

(٢) د / بكر زكي عوض : دعوة الرسل ج١ / ٣٠٤.

(٣) العنكبوت / ١٦– ١٧ .

ثم أثار الخليل حفيظتهم ثانية بالتهكم والتعريض ، وقد تمكن الغضب من نفوسهم وأخذ منهم كل مأخذ ، وظهرت عليهم بوادر الانتقام فقالوا : ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَاإِبْرَاهِيمُ ﴾ [١] . فرد عليهم متهكما ليزيد من ثورتهم ، وقد أقام عليهم الأدلة ، وقطع عليهم الشبه والحجج موبخا إياهم : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [٢] .

ثم أثار الخليل حفيظتهم ثانية ببيان زيف مبدئهم ومعتقدهم فسفه أحلامهم وعقولهم وآلهتهم فقال تعالي : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [٣] .

٦ – التورية والمعاريض :

التورية : مصدر وريت الخبر تورية إذا سترت ، وأظهرت غيره . واصطلاحا : هي أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان : أحدهما قريب ظاهر غير مقصود ، والآخر بعيد خفي هو المراد بقرينة .

المعاريض : جمع معراض وهي مشتقة من التعريض في القول أي خلاف التصريح به. وهي أن يقول الشخص لفظا هو ظاهر في معنى ولكن المراد به آخر ، ويتم استغلال التشابه في اللفظ بين الشيئين . والهدف منها : أن ينجو المرء من الكذب المحرم شرعا بأن يلجأ إلى التورية المباحة بواسطة التعريض بالقول أي يستخدم المعاريض [٤] .

وفي المعاريض من السعة ما يستغني بها الداعية عن الاضطرار إلى الكذب ، ولا

---

(١) الأنبياء/٦٢

(٢) الأنبياء/ ٦٣-٦٥

(٣) الأنبياء / ٦٦- ٦٧

(٤) القاموس المحيط ج /٢٣٤-٢٣٥، ج٣٩٩/٤ .

خير في ذلك ، إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب .

وهذا أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ، وذلك لما يعايش الداعية من المعوقات والصعوبات ، وما يواجهه من العقبات والابتلاءات والمواقف الحرجة ، فكان لا بد له من سلاح يقدر به للمواقف ما يناسبها للخروج من المآزق إبقاء على نفسه واستمرارا للدعوة لئلا يمسها مساس أهل الفوضى والريب ، وقطعا لألسنة المنافقين الذين يثيرون الشكوك والجدل والأكاذيب لتشويه صورتها ، فكان لابد للداعية إن ضاقت به ضائقة أن يكون حكيما في تصرفاته ، يعرف المداخل والمخارج دون أن يلجا إلى الكذب أو يحرج نفسه بإخباره خلاف الواقع [١] .

والخليل عليه السلام عندما استعمل أسلوب التورية والتعريض لم يكن خوفا على نفسه بل لضمان استمرارية الدعوة، وقطع طريق عليهم وإلزامهم الحجة، وتبكيتا لهم على فساد معتقدهم بإثارتهم وإيقاظهم من غفلتهم، كما حكى القرآن عنه في هذه المواقف ، قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ [٢] . وقوله سبحانه : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ [٣] .

وقوله صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إلى مصر فقال لسارة إذا سألها الملك الظالم من أنت ؟ أن تقول : أنها أخت الخليل .

فكل ذلك كان في ذات الله ، والاجتهاد في حماية العرض مما أجمعت الشرائع على حفظه . " وهذه العبارات ليست من الكذب بل هي من المعاريض ، وإنما أطلق عليها كذبات لمجيئها في صورة الكذب [٤] .

---

(١) د/ منظور بن محمد رمضان : منهج إبراهيم عليه السلام في الدعوة . م س .

(٢) الأنبياء / ٦٣ .

(٣) الصافات / ٨٨ – ٨٩ .

(٤) الخالدي : القصص القرآني ط / ٣٢٨– ٣٢٩ بتصرف واختصار .

٧ – الأدب في التبليغ مع الصراحة في بيان الحق :

اللين والرفق في الحوار ومعاملة المدعو أسلوب فعال يستحوذ على قلب المدعو، والرحمة والرأفة المتضمنة لأعذب الألفاظ وأرقى العبارات والتزام الأدب والوقار ، كان هذا هو شان الخليل في دعواته لأبيه فقام بواجب البر نحو والده، وواجب الصدق مع دعوته ،فأمر بعبادة الله وحده ، وبين ضلال ما هو عليه وضرره عليه ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ (١) .

فإذا وصل اللين والرفق إلى طريق مسدود دون فائدة أو جدوى لجأ الداعية إلى أسلوب الشدة والغلظة والقسوة ليشعر المدعو بعظيم جرمه وكبير ذنوبه كما فعل الخليل عليه السلام مع أبيه وقومه، قال تعالى: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (٢) .

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ.... قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اُعْبُدُوا اللّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنّ الّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً ﴾ (٤) .

ثانيا : الأساليب العملية

هي التطبيق العملي لقواعد الإسلام ومبادئه، إذ التطبيق العملي له عظيم الأثر في نشر الإسلام ، فما انتشر الإسلام في ربوع الدنيا إلا بأخلاق المسلمين وامتثالهم دينهم .

---

(١) مريم / ٤٣ .
(٢) مريم / ٤٢
(٣) الأنبياء ٥٢–٥٤
(٤) العنكبوت / ١٦–١٧ .

١ – القدوة الحسنة :

القدوة والقدوة بضم القاف وكسرها لغة : هي الأسوة ، يقال فلان قدوة يقتدى به . والقدوة هي المثال الذي يتشبه به غيره ن فيعمل مثل عمله . قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ .... ﴾ [١] . والقدوة هي الحالة التي يكون عليها الإنسان في اتباع غيره ، إن حسنا وإن قبيحا [٢] .

لقد جعل الله لعباده أسوة عملية ونماذج حية في الرسل والصالحين . فأمر عباده باتباعهم والاقتداء بهم ، فقال سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ... ﴾ [٣] . ولقد جبل الناس على التقليد والمحاكاة ، لذا كالنت القدوة أعظم أثرا بين الناس ، لسهولتها وسلامة الأخذ بها، وعمق التأثير في النفس البشرية ، وسرعة استجابتها للأمور العملية أكثر من استجابتها للأمور النظرية [٤] .

جعل الله الخليل إبراهيم عليه السلام قدوة للسالكين وإماما للدعاة ،وأمرنا بالاقتداء به في البراءة من الكفر وأهله ، فقال سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ [٥] .

فالخليل أسوة في السلوك وخاصة فيما يتصل بالأهل والأقربين ، حيث تبرأ من قومه وما يعبدون وعبادتهم ، وآمن بالله وحده .

---

(١) الممتحنة /٤

(٢) ابن منظور : لسان العرب :ج١٥/١٧١ . المعجم الوسيط :ج٢/٧٢٧ .

(٣) الأنعام /٩٠

(٤) راجع : محمد ابو الفتح البيانوني : المدخل إلى علم الدعوة : ٢٧٢–٢٧٥. مؤسسة الرسالة ط/٣ . سنة ٢٠٠١ .

(٥) الممتحنة/٤

وهكذا الداعية يجب أن يقتدي بأبي الأنبياء فيوالي المؤمنين ويعادي ويتبرأ من الكفر والكافرين حتى ولو كان أقرب الأقربين إليه كما قرر سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

ابتلى الله خليله بمفارقة الأهل والأحبة ، وبأن يذبح ولده فاستسلم لأمر الله وصبر ، ابتلاه الله ببناء البيت فصبر ووفى ، فجعله الله إماما للخلق إلى يوم الدين ،كما قال تعالى :" وإبراهيم الذي وفى " (٢) . فأصبح للناس إماما في الخير وقدوة لهم ، وحصل له الثناء الدائم وذلك حين كلفه الله تعالى بالطاعات ،قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

فمن انطوى تحت لواء التوحيد فالخليل قدوته في كمالات الخير ، لأن القدوة في نصب أدلة التوحيد ورفع أعلامها وخفض رايات الشرك ، كما قرر جل شأنه : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤) . فملة التوحيد واحدة ، والدعوة إليها منهج الأنبياء والمرسلين جميعا ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٥) .

لذا أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم – مع علو درجته وعظيم منزلته – بأن

---

(١) المجادلة /٢٢
(٢) النجم /٣٧
(٣) البقرة/ ١٢٤
(٤) النحل /١٢٠
(٥) النحل /٣٦

يقتدي بأبيـــه إبراهيم عليه السلام منهجا ومسلكا لاستقامته على الطريقة ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

٢ – تغيير المنكر :

إن من أبرز سمات الداعية هو التطبيق العملي لدعوته ، فدعوة لا تجد لها نصيبا في أرض الواقع هي دعوة جوفاء لا تلبث أن تموت ،وما لعن الله الأمم إلا بسبب تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقتراف المنكرات وانتهاك المحرمات، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

ويقرر صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة ، فيقول :" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " (٣) .

لقد دعا الخليل قومه إلى الله تعالى وعبادته جل شأنه : فحاور وجادل وناظر وخاطب العقول ، ومس شغاف القلوب ، إلا أن القوم أعرضوا واستكبروا بعد أن قامت عليهم الحجة وألزمهم المحجة ، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من الإيمان والهداية ، فما كان من الخليل عليه السلام إلا أنه تحول إلى وسيلة اخرى عملية تلفت إليه الأنظار ، وقد يتبعها رجوعهم عما هم عليه من شرك وضلال . وكانت هذه الوسيلة هي تكسير أصنامهم كما بينا ، فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون .

كسر الخليل أصنام قومه (آلهتهم المزعومة) مع علمه ويقينه بما تسببه هذه العملية من ضرر وأذى ، وكان كل شيء في سبيل الله ودعوته يهون (٤) .

---

(١) النحل /١٢٣

(٢) المائدة/٧٨–٧٩

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٧٨)باب كون النهى عن المنكر من الإيمان إكمال المعلم ج١/٢٨٩

(٤) راجع المستفاد من القصص القرآني : ج١/٢٠٩ .

والخليل فعل هذا ليلفت إليه وإلى دعوته الأنظار ، فيسمع الناس بتكسير آلهتهم فيجتمعون إليه فيدعوهم إلى الله ويبين لهم زيف وتفاهة ما يعبدون من حجارة صماء لم تستطع الدفاع عن أنفسها ، بل إنهم صنعوها بأيديهم . قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ..... أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

٣ – المفاصلة والموادعة :

دعا الخليل قومه إلى الله تعالى ونبذ عبادة الأوثان ، فحاور وناظر وجادل واقام عليهم الحجة والمحجة ، إلا أن القوم أصموا آذانهم وألغوا عقولهم وألقوا به في النيران وأعرضوا عن دعوة الحق ، حتى وصلت العلاقة بينه وبين قومه إلى طريق مسدود ، ولم يعد هناك مجال لإصلاحها ، وأصر القوم على كفرهم وعنادهم .

والدعوة إلى الله تعالى إن لم يذعن المدعوون لها ويستجيبوا لرسل الله أو يقف العناد في وجه الدعوة ، وبقيت المكابرة مركبا ذلولا لأهل الطغيان ، أو انعدم حق الصلة والقرابة ، فلابد من إعلان المفاصلة والبراءة ، وتنفيذ الموادعة ،لتجد الدعوة أرضا خصبة تبذر فيها بذورها ، فأعلنها الخليل باقية خالدة كمل قال تعالى : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ (٢) .

فقضية التوحيد فوق كل القضايا ، وطلب العزلة للحفاظ على دين الله أمر واجب (٣) .

وكانت المفاصلة والموادعة هي الإفصاح عن أصل من أصول الإيمان (الولاء

---

(١) الأنبياء /٦٣–٦٧

(٢) مريم/٤٨

(٣) د/منظور محمد رمضان : منهج إبراهيم الخليل في الدعوة إلى الله كما عرضه القرآن الكريم .

والبراء) الحب في الله والبغض في الله ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) .

والخليل عليه السلام ومن معه لم يفاصلوا قومهم ويتبرأوا منهم إلا بعد أن قاموا بواجب البلاغ والدعوة إلى الله تعالى ، وذكروهم بالله ونصحوهم فلما أصر القوم على الكفر والجحود والعناد لم يبق إلا البراءة والمفاصلة (٢) .

٤ – الهجرة :

الهجرة هي : الانتقال والتحول ، وهي قسمان :

١ – معنوية : وهي هجرة العبد المعاصي والسيئات والبدع والشهوات والملذات إلى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .

٢ – حسية وهي : الانتقال من مكان إلى مكان . وهي أنواع :

١ – الخروج من دار الحرب والكفر إلى دار الإيمان والإسلام . وكانت مفروضة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي باقية إلى يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا .... ﴾ (٣) .

٢ – الخروج من أرض البدعة إلى أرض السنة ، قال مالك بن أنس لا يحل البقاء بأرض يسب فيها السلف .

٣ – الخروج من أرض غلب عليها الحرام ، فإن طلب الحلال فريضة على كل مسلم .

---

(١) الزخرف/٢٦-٢٨

(٢) راجع : د/على أبوبكر ابراهيم : أحاديث الدعوة الى الله تعالى (٢٦٥).

(٣) النساء/٩٧

٤ – ومنها الفرار من الأذية في الدين والبدن والمال والأهل والولد ، فإن حرمة مال المسلم وأهله كحرمة دمه، بل اشد وآكد .

٥ – ومنها الهجرة لطلب الرزق .

٦ – ومنها الهجرة لطلب العلم .....و غير ذلك .

فالهجرة من المكان الذي يضيق على الإنسان في تعبده وتدينه أمر حتمي عند المؤمنين ، يلجأ إليها المضطهدون ليجدوا فيها البيئة التي يزاولون فيها عبادتهم ، ويؤدون شعائرهم وهم مطمئنو النفس ، مرتاحوا الضمير . فليست الهجرة إذا طلبا للراحة ، ولا هربا من المتاعب ولكنها وسيلة للبحث عن أرض صالحة تعيش عليها الدعوة ، بعيدة عن تهديد الأعداء ، لهذا لجأ إليها إبراهيم الخليل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ (١) .

كانت هجرة الخليل عليه السلام حينما أصر قومه وأبوه والملك المتأله على الكفر وعبادة الأوثان ، فتبرأ منهم وفارقهم وهاجر ومن آمن به من أرض بابل إلى أرض حران بأرض الشام ، فدعا عباد الكواكب إلى الله وأقام عليهم الحجة وألزمهم المحجة ، فلما أصروا على الكفر ترك حران وتوجه إلى فلسطين ، ونزل لوط عليه السلام ابن أخيه بسدوم بالأردن يدعو أهلها إلى الله تعالى كما أخبر جل شأنه : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٢) .

ومكث الخليل بفلسطين يدعو أهلها ، ثم توجه إلى مصر يدعو مليكها وأهلها إلى الله تعالى ، حيث أراد الجبار بسارة سوءا إلا أن الله عصمها منه ، وأخدمها هاجر عليها السلام .

رجع الخليل بسارة وهاجر إلى فلسطين يدعو إلى الله تعالى وتوحيده وعبادته ،

---

(١) نظرات في أحسن القصص /١٧١ ، العنكبوت /٢٦.

(٢) العنكبوت /٢٦

وترك عبادة الأصنام .

فالهجرة تعني : إعلانا بمقاطعة حبل الولاية والنسب والقرابة ، وهجران في الاعتقاد والأبدان ومفارقة الأوطان ، ليتميز الصف الموحد من الصف المشرك ، فيلحق من كان بين الكفار بالركب المهاجر في سبيل الله الذين تركوا الركون إلى الدنيا ، وتجردوا لله وللدفاع عن دينه ، وهجروا في ذلك الأهل والمال والوطن [١] .

هاجر الخليل من بلاد الكفر إلى بلاد الشام يبحث عن أرض خصبة تصلح للدعوة تحتضن دين الله وتدافع عنه، فأعطاه الله الذرية، بل جعل في ذريته النبوة والكتاب كما قرر سبحانه وتعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [٢] . ويكفي الخليل فخرا وشرفا أن جعل الله من ذريته سيد الأولين والآخرين ، وخاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

كان الخليل عليه السلام أول من هاجر في سبيل الله ، وفارق أهله وقومه من أجل الله وغادر موطنه إلى موطن آخر للدعوة إلى الله .

لذا كانت هجرة الخليل عليه السلام إلى الأرض المباركة المقدسة ،ومن ذلك اليوم نالت ما نالت من الفضل والبركة والقداسة وأصبحت تسمى مهاجر إبراهيم عليه السلام .

وهذه الأرض هي فلسطين في المقام الأول، ثم تتوسع لتشمل بلاد الشام كلها [٣].

٥ – المبادرة بامتثال أمر الله تعالى :

من أهم صفات الخليل عليه السلام الإذعان والاستسلام وامتثال أمر الله تعالى

---

(١) منهج الخليل ابراهيم في الدعوة كما عرضه القرآن ص ٢٤ .

(٢) العنكبوت /٢٧

(٣) الخالدي : القصص القرآني : ج١ (٣٧٣-٣٧٤).

يظهر ذلك حينما أمره الله بذبح ولده ، وعندما ابتلاه الله بكلمات فأتمهن فجعله الله للناس إماما إلى يوم الدين ، وعندما أمره الله ببناء بيته العتيق .

في دراستنا لخليل الرحمن عليه السلام ومنهجه تبرز صفات لها في نجاح الدعوة أكبر الأثر ، منها : إخلاص القلب ونقاوته ، واستقامته لله وحده ، وإيثار ما يرضيه ، والرضا والتسليم المطلق لله وحده ، والخضوع لأمره ، والعلو فوق كل النزعات . ويتجلى ذلك في أمرين :

أولا : ذبح إسماعيل عليه السلام :

بشر الله خليله عليه السلام بغلام حليم – إسماعيل عليه السلام – فكان المستسلم لأمر الله ، وكان لأبيه خير معين [١] .

إن كمال الإيمان يستدعي مبادرة الامتثال ، وإن قوة اليقين تستلزم الصبر والثبات والثقة ، وفي سبيل الحب الصحيح يرخص كل غال وثمين ، لذا رفع الله خليله بمبادرته بامتثاله لأمره بذبح ابنه وفلذة كبده .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [٢] . أجل هي رؤيا ولكن رؤيا الأنبياء حق ، فالشيطان لا يتمثل لهم .

وإبراهيم ربى ولده على العبودية لله والاستسلام له ، فما كان أسرع استجابة إسماعيل وامتثاله لأمر الله ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [٣] .

---

(١) د /محمد طلعت أبوصير : الدعاة في القرآن الكريم ومناهجهم (٨٣-٨٤)باختصار.

(٢) الصافات / ١٠٢ .

(٣) الصافات / ١٠٢ .

فلما أذعن الخليل وإسماعيل واستسلما وانقادا لأمر الله ، فدى الله إسماعيل بكبش عظيم .

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

إنها لفتنة قرآنية عظيمة نشاهدها من خلال هذا الموقف : " لم يتظاهر إسماعيل عليه السلام في تنفيذ المهمة الشاقة بالطول والجلادة والشجاعة والإقدام ، بل علق الأمر على مشيئة الله تعالى استعانة وتبركا وتواضعا وتأدبا مع الله تعالى ، معترفا بضعفه ، مدركا حدود قدرته وطاقته في الاحتمال ، ليعينه على طاعته فقال : " ستجدني إن شاء من الصابرين " أي من جملة الموفقين للصبر مع ما فيه إغراء للأب على الصبر لما يعلم من شفقته عليه من عظم البلاء ، حيث أشار إلى أن لله عبادا صابرين (٢) .

ولما وقع العمل موقع القبول والرضى ، ونتائجه قد ظهرت ، والغاية منه قد تحققت ، والله لا يريد تعذيب عباده ، ولا يريد دماءهم ولا أجسادهم في شيئ ، فكانت النتيجة : ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (٣) .

فشرع الله الذبح والأضاحي وإراقة الدماء تخليدا لذكرها ، وتعظيما لأجرها ، وشريعة يعمل بها إلى يوم القيامة ، امتثالا لأمر الله ، وإطعاما للبائس الفقير (٤) .

---

(١) الصافات / ١٠٣ – ١٠٧ .

(٢) روح المعاني ج ٨ (١٢٩) .

(٣) الصافات /١٠٥–١٠٧

(٤) راجع : القرطبي ج ١٥ (٩٧–١٠٧). الشوكاني : فتح القدير ج٤ (٤٠٣). روح المعاني ج٨ (١٢٧–١٣٢).

ثانيا : بناء البيت :

جعل الله تبارك وتعالى بيته الحرام أول بيت وضعه للناس في الأرض لعبادته سبحانه وتعالى ، وتلك هي الحقيقة التي قررها رب العالمين في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

كما جعل تبارك وتعالى الكعبة سرة الأرض ، أي في وسطها ، في ذلك الموضع الذي دحيت منه الأرض ، فكان أول ما كان منها مكة المكرمة .

وأصل الكعبة في اللغة : البيت المربع المرتفع .

وسمي بيت الله بالكعبة لتربعه وارتفاعه ، وكل بيت هو عند العرب كعبة ،..... ولكن هذا اللفظ (الكعبة) غلب على بيت الله ، فإذا أطلق لفظ الكعبة انصرف الذهن إلى ذلك البيت العتيق في مكة المكرمة (٢) . قال سبحانه : ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ... ﴾ (٣) .

والبيت الحرام حرمه الله تبارك وتعالى وعظمه منذ أن خلق السموات والأرض ، فحرم مكة قبل أن يسكنها أحد من الناس كما قال صلى الله عليه وسلم :" إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس " (٤) . فحرم الله تعالى أن يصاد صيد مكة ، وأن يختلى خلاها ، وأن يعضد شجرها .

والمراد بالبيت الحرام سائر الحرام ، كما قال تعالى :" هديا بالغ الكعبة " (٥) .

---

(١) آل عمران /٩٦

(٢) انظر : القصص القرآني ج٤ (٥-٨).

(٣) المائدة /٩٧

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب جزاء الصيد (١٨٣٢)باب لا يعضض شجر الحرم ج٤ /٣٢٥. ومسلم في كتاب الحج (١٣٥٤)باب تحريم مكة و صيدها .الإكمال ج٤/٤٦٩.

(٥) المائدة /٩٥

فالمراد بها الحرم . كما سمي البيت العتيق ، لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار . وقيل لقدمه ، لأنه أول بيت وضع للناس .

روي عن ابن الزبير رضي الله عنه أنه قال : سمي البيت العتيق لأنه أعتق من الجبابرة أن يسطوا عليه . وقال عطاء بن يسار ومحمد بن كعب القرظي : سمي البيت العتيق لقدمه . وقال النسفي :هو مطاف أهل الغبراء ، كما أن العرش مطاف أهل السماء [١] .

ومكة المكرمة هي خير البلاد وأحبها إلى الله تعالى ، حرمها منذ خلق السموات والأرض .كما جاء عند الترمذي :"مكة خير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله " [٢] .

وفي الصحيح من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : " قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركتك الصلاة فصل ، فإن الفضل فيه " [٣] .

وفي هذا الحديث إشكال كما هو ظاهر ، فبين الخليل باني الكعبة وسليمان باني بيت المقدس آلاف السنين، وفي الحديث أربعون سنة .

والجواب كما قال ابن الجوزي رحمه الله : إنما هي إلى أول البناء ووضع الأساس . وليس إبراهيم عليه السلام أول من بنى الكعبة ، ولا سليمان عليه السلام أول من بنى بيت المقدس ، بل كان ذلك منهما مجددا لما كان غيرهما قد أسسه من قبل [٤] .

---

(١) راجع الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، د/فاطمة محجوب ج٨ /٩٣-٩٤.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ج٢٦/ ٤٨ . وابن كثير في التفسير ج٤ / ١٧٦ .وصححه القرطبي في تفسيره : ج١٦ /٢٣٥ .

(٣) مضى تخريجه في اول البحث .

(٤) راجع : الفتح الباري : ج٦ /٤٥٦-٤٥٩. د/ على السبكي : موسوعة الأوائل ج١/٢٤٧.

وهذا الحديث يقودنا إلى أقوال العلماء في بناء البيت الحرام .

الفريق الأول :

يرى أن الذي بنى البيت الحرام هم الملائكة عليهم السلام : فآيات القرآن متفقة مع صحيح السنة وتؤكد أن البيت كان مبنيا قبل إبراهيم عليه السلام بأمد بعيد ، وأن إبراهيم وإسماعيل إنما جددا بناء البيت ، كما قال الله تعالى على لسان الخليل عليه السلام عندما وضع هاجر وإسماعيل بمكة وليس بها أنيس يومئذ : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... ﴾ (١) .

يؤكد ذلك ما رواه البخاري في صحيحه :" ....وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله .... " (٢) .

فهذا البيت العتيق بناه آدم عليه السلام أو بني قبل آدم كما جاء في بعض الروايات ، وغمره الطوفان في عهد نوح عليه السلام .

فالخليل لم يكن أول من بنى البيت ،بل جدد بناءه ووضع أساسه . وبنته الملائكة أو آدم عليه السلام ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

ذكر القرطبي عن جعفر بن محمد قال :سئل أبي وأنا حاضر عن بدء خلق البيت فقال : إن الله عز وجل :" إني جاعل في الأرض خليفة " قالت الملائكة :" أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك "فغضب عليهم ، فعاذوا بعرشه ، وطافوا حوله سبعة أشواط ، يسترضون ربهم ، حتى رضي عنهم ، وقال لهم :

---

(١) إبراهيم / ٣٧.

(٢) مضى تخريجه قريبا .

(٣) آل عمران /٩٦

ابنوا لي بيتا يتعوذ به من سخطت عليه من بني آدم ، ويطوف حوله كما طفتم حول عرشي ، وأرضى عنه كما رضيت عنكم ، فبنوا هذا البيت " [١] .

فهذا الأثر يوضح أن الملائكة عليهم السلام أول من بنى البيت ، بنوه قبل خلق آدم عليه السلام .

الفريق الثاني :

وهناك آثار تقرر أن آدم عليه السلام أول من بنى البيت منها ما رواه البيهقي في دلائل النبوة بسنده : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم : "بعث الله جبريل الى آدم فأمره ببناء البيت ، فبناه آدم . ثم أمره بالطواف به ، و قيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت وضع للناس [٢] .

ومنها : ما رواه عبد الرزاق في مصنفه :عن ابن جريج عن عطاء و ابن المسيب وغيرهما : أن الله أوحى إلى آدم عليه السلام : إذا هبطت فابني لي بيتا ثم احفف به كما رأيت الملائكة تحف بعرشي الذي في السماء قال عطاء : فزعم الناس أنه بناه من خمسة أجبل : من حراء و طور سيناء و لبنان و الجودي و من طور زيتا ، وكان ربضه – أي الأساس المستدير بالبيت من الصخر – من حراء [٣] .

يؤكد ذلك ما روي عن ابن عباس رضى الله عنهما : أنه لما أهبط آدم من الجنة إلى الأرض قال الله : يا آدم اذهب فابني لي بيتا و طف به و اذكرني عنده ، كما رأيت الملائكة تصنع حول عرشي ، فأقبل آدم يتخطى ، و طويت له الأرض ، فقبضت له المفاوز ، فلا يقع قدمه على شيء من الأرض إلا صار عمرانا ، حتى جاء إلى موضع البيت الحرام ، وأن جبريل ضرب الأرض بجناحه فأبرز عن أس ثابت على الأرض

---

(١) راجع: القرطبي : ج١ /٥٨٩-٦١٩ .

(٢) البيهقي: دلائل النبوة باب ما جاء في بناء الكعبة ج٢/٤٥.

(٣) انظر: القرطبي : ج١/٥٨٩-٦١٩

وقذفت إليه الملائكة بالصخر ، فما يطيق الصخرة منها ثلاثون رجلا [١] . فالخبر يوضح أن الذي بنى البيت آدم عليه السلام و أعانته الملائكة الأطهار .

الفريق الثالث : بناء الخليل عليه السلام :

يرى أن الخليل هو أول من بنى البيت الحرام : مما لاشك فيه أن البيت بعد بنائه و تجديده كما مر بنا آنفا كان يترك و يهمل ، فكان يتهدم بفعل السيول وعوامل التعرية ، ولكن تبقى آثاره و أساسه أصله حتى أوحى الله إلى الخليل عليه السلام بإعادة تشييده و رفع قواعده كما جاء في كتاب ربنا سبحانه و وضحته سنة نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٢] .

فأقام الخليل وإسماعيل عليهما السلام البناء وأتماه على أحسن وجه وطهرا البيت العتيق من كل دنس كما أمرهما الله تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [٣] .

بعد أن أوحى الله إلى خليله عليه السلام أن يضع زوجته هاجر و رضيعها قرب البيت و تفجرت زمزم و أخبر جبريل هاجر بأن ههنا بيتا يبنيه هذا الغلام و أبوه . كان الخليل عليه السلام يتفقد رعيته بين الفينة و الأخرى حتى ماتت هاجر عليها السلام ، و بلغ إسماعيل مبلغ الرجال ، جاء الخليل يتفقد ولده ويبلغه أن الله أمره ببناء البيت الحرام فكانت فرحة إسماعيل بهذا التكليف الإلهي و الشرف الرباني له. و أرى الله تعالى خليله مكان البيت كي يرفع قواعده ويتم بناءه فقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [٤] .

---

(١) السابق ج١ /٦٠٣.

(٢) البقرة /١٢٦

(٣) البقرة/١٢٥

(٤) الحج /٢٦.

ونترك الحديث للبخاري يحدثنا فيما رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "ثم لبث أي الخليل عليه السلام ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك و إسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبة من زمزم ، فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد ، ثم قال يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر ،قال فاصنع ما أمرك ربك ، قال و تعينني قال : وأعينك قال فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ،قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة و إبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه و هو يبني و إسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) .

فكان إسماعيل عليه السلام يأتي بالحجارة و الخليل عليه السلام يبني حتى ارتفع البناء عن قامة إبراهيم . قال الخليل لابنه ابغني حجرا أقف عليه فأتى له بحجر فصعد عليه ابراهيم ، وجعل يقيم القواعد . ويطلق على هذا الحجر مقام ابراهيم ، وكان ملصقا بالبيت بعد أن بناه الخليل و لكنه نقل إلى موضعه الحالي في عهد عمر رضى الله عنه (٢) .

وقد أثرت قدمي الخليل وأصابعه في الصخر ، وهو مقام إبراهيم ، وقد أمرنا الله بالصلاة عنده فقال : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (٣) .

وفى تأثير قدمي إبراهيم في الحجر يقول أبوطالب :

أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوءأو ملح بباطل
وبالحجر المسود إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير ناعل

(١) تفسير ابن كثير ج٢/٦٥ .اعلام الزركشي : اعلام الساجد/ ٢٠٧.
(٢) اعلام الساجد /٥٥.
(٣) البقرة/١٢٥

ولما وصل الخليل في بنائه مكان الركن قال لإسماعيل يا بني ابغني حجرا حسنا أضعه ههنا فقال إسماعيل يا أبتي إني كسلان وذلك من شدة التعب الذي أصابه من نقل الحجارة من الجبال و لما ألح عليه في الطلب انطلق فجاءه بحجر لم يرضه فقال ءاتني بأفضل منه ، فأنطلق يطلب غيره فإذا بجبريل أتاه بالحجر الأسود وكان أبيض من ياقوتة بيضاء . قالوا وكان آدم قد هبط به من الجنة فأسود من خطايا الناس [١] . فأخذه إبراهيم عليه السلام ووضعه مكانه من الركن وعندما عاد إسماعيل بحجر وجد أباه قد وضع ذلك الحجر الذى أعطاه إياه جبريل فقال يا أبتي من جاءك بهذا فقال جاءني به من هو أنشط منك [٢] .

بعد أن انتهى الخليل واسماعيل عليهما السلام من بناء البيت أمر الله خليله أن يؤذن بالناس بالحج و تأدية المناسك فقال الله له : وأذن بالناس بالحج فقال إبراهيم :يا رب وما يبلغ صوتي فقال الله له :أذن يا إبراهيم وعلي البلاغ فصعد الخليل على جبل أبي قبيس ونادى بأعلى صوته أيها الناس إن الله أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فسمع نداء الخليل كل من كان في أرحام النساء وأصلاب الرجال أجاب كل من سمع قائلا لبيك اللهم لبيك فمن أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة قال ابن عباس لما أمر الله ابراهيم عليه السلام أن يؤذن بالحج خفضت الجبال رؤوسها ورفعت له القرى فنادى في الناس بالحج فأجابه كل شيء لبيك الله لبيك [٣] . ثم قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [٤] . أي مشاة و ركبانا .

---

(١) المصدر السابق /٤٤

(٢) تفسير ابن كثير ج١/٢٥٩.

(٣) القرطبي : ج٧/٢٣٧ .

(٤) الحج /٢٧

جبريل يعلم إبراهيم وإسماعيل المناسك :

بعد أن فرغ إبراهيم و إسماعيل من بناء البيت رفعا أكف الضراعة إلى الله تعالى أن يتقبل منهما عملهما و أن يريهما المناسك قائلين : ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١) .

فأرسل الله جبريل فحج بهما ، وعرفهما كيف يطوف الحاج مبتدئا من الركن عند الحجر الأسود جاعلا البيت عن يساره ثم يطوف سبعا حول الكعبة ، ثم يسعى بين الصفا و المروة سبعا ..... ثم ذهب بهما إلى عرفة فعرض له إبليس في الطريق عند العقبة فأمر جبريل إبراهيم أن يرميه بسبع حصيات جمعها له جبريل و وضعها في كفه و قال له ارمي و كبر وكذا رمى جبريل وكبر حتى أفل الشيطان ، ثم أتيا الجمرة القصوى فعرض الشيطان مرة أخرى فرمى بسبع حصيات مع كل رمية تكبيرة حتى أفل ثم أتى بهما جمعا وهي المزدلفة ،فقال جبريل :ههنا يجمع الناس الصلوات ، ثم انتهوا إلى عرفات فقال جبريل لإبراهيم عرفت فقال : نعم ، ومن ثم سمي المكان عرفات (٢) .

قد ضرب الخليل عليه السلام أروع الأمثلة في التضحية بنفسه وأهله وولده وماله ، وامتثاله أمر الله ، وتقديم أمر الله على حظوظ النفس وشهواتها ، فترك الشهوات و الملذات و الأهل و الولد وقطع المفاوز و القفار وصار بالليل و النهار استجابة لأمر الله كي يقيم و يجدد صرح البيت العتيق هو وابنه إسماعيل فنهض إسماعيل وشارك أباه في هذا الأمر العظيم فخلد الله ذكراهما وجعل عملهما شعيرة محكمة ومنسكا للمؤمنين إلى أن يرث الله الأرض و من عليها .

---

(١) البقرة/١٢٨

(٢) القصص القرآني للنشرتي : ج٢ /٣٢-٣٣بتصرف يسير.

سادسا : الدعاء:

من أعظم القربات، وأجل الطاعات وهو عبادة لرب الأرض والسماء، يصل العبد بربه ،يجسد معنى العبودية التي خلق من أجلها الأنسان ، ثم قال سبحانه : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (١) .

فسمى الله الدعاء عبادة وتوعد جل شأنه من استكبر عن دعائه بالعذاب الأليم فعن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الدعاء هو العباده ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (٢) .

كما توعد النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدعوا الله و يسأله فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال :"من لم يسأل الله يغضب عليه" (٣) .

والدعاء عبادة سهلة ميسورة لا يشترط لها الطهارة ،كما أنها ليست مخصوصة بمكان أو زمان.

والدعاء تقرب إلى الله تعالى فإذا أراد العبد أن يتقرب لمولاه فما عليه الا أن يرفع أكف الضراعة إلى الله مناجيا إياه مستشعرا قربه من الله صاحب الفضل و الإحسان كما قال جل شأنه :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (٤) .

والدعاء هو السلاح الذي لا يحق للمسلم أن يسير في ركاب الحياة بدونه ، ولقد امتدح الله خليله بدعائه فقال : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ (٥) . لذا لا نجد موطنا

---

(١) غافر /٦٠

(٢) رواه ابن ماجة في كتاب التفسير ٣٢٥٨ باب و من سورة المؤمن .والترمذي : ج٦ /٣١٧ قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد ٧١٤.وابن حجر في الفتح : ج١١ /٩٥. والإتحاف ج٣٥.

(٤) البقرة ١٨٦

(٥) هود /٧٥

تذكر فيه دعوة إبراهيم إلا ويذكر جانب من تضرعه و دعائه ،فكان يلجأ إلى الله في أموره كلها ،فدعا الله من أجل إنجاب الأولاد فقال: "رب هب لي من الصالحين " [١] ..ولما ذهب لرؤية ابنه وجده غائبا ولما سال زوجه عن طعامهما فقالت اللحم و سألها عن شرابهما فقالت الماء فدعا الله قائلا : اللهم بارك لهما في اللحم و الماء . ولما بنى هو وابنه الكعبة فقال : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [٢] .

كما دعا الله تعالى أن يبعث رسولا من نسله لأهل مكة فاستجاب الله دعاءه واصطفى خليله سيدنا محمدا رسولا للعالمين ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣] .

كان الخليل عليه السلام كسائر الأنبياء موصولا بالله ، متضرعا لمولاه ، متوكلا عليه فى كل أحواله ،شديد التعلق به جل شأنه ،كثير الدعاء لربه منها على سبيل المثال لا الحصر ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [٤] .

﴿ وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [٥] . ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [٦] . ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [٧] . ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [٨] . ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ

---

(١) الصافات /١٠٠

(٢) البقرة /١٢٧

(٣) د/عبد الحليم محمود : مع الأنبياء و الرسل ١٧٨ – ١٧٩ ، البقرة / ١٢٩.

(٤) إبراهيم/ ٤١

(٥) البقرة ١٢٨

(٦) ابراهيم ٣٥

(٧) ابراهيم/ ٤٠

(٨) البقرة /١٢٦ .

عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [١] . إلى آخر الدعوات التي تضرع بها الخليل لربه ،وخلدها القرآن ،فكان قدوة في الدعاء .

إن دعاء الله تعالى من أفضل العبادات التي يتقرب بها العبد لربه تعالى فهي دليل خضوع وذل من العبد إلى الله ، فالله تعالى يحب ذلك و يغضب على من يسأله .

(١) ابراهيم / ٣٧ .

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي صلت إليها ، ثم مراجع البحث ومصادره .

أولا : النتائج :

- نشأ الخليل عليه السلام ببابل بأرض العراق بين قوم يعبدون الأصنام ويؤلهون البشر .
- حبى الله خليله بصفات الخير كلها ، وأهله لحمل رسالته .
- جاء الأنبياء بدين واحد وهو الإسلام ذا أصول ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ،و إن تغيرت شرائعهم .
- تقوم دعوة الخليل عليه السلام على ثلاثة أركان : العقيدة والشريعة والأخلاق .
- حرص الخليل عليه السلام على نشر دعوة التوحيد والقضاء على الشرك والوثنية ، فحاور أباه وجادل قومه في شأن عبادة الأصنام وأقام عليهم الحجة حتى كادوا أن يهتدوا .
- ناظر الخليل الملك المتأله الذي ادعى الألوهية ، وألزمه الحجة وأخرسه .
- تضمنت دعوة الخليل عليه السلام على أصول الإيمان : الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والرسل والقضاء والقدر ، وذلك ما قررته آيات الكتاب العزيز .
- اشتملت شريعة إبراهيم عليه السلام على : الصلاة والزكاة والصيام والحج .
- ابتلى الله خليله بجملة من التكاليف الشرعية ، فامتثل واستسلم لأمر ربه ، لذا أثنى الله عليه واختاره للناس إماما .
- دعا الخليل قومه إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة ، ونهاهم عن الفواحش والرذائل .
- كان الخليل متحليا بفضائل الأخلاق ومحاسن الشيم ، فكان أواها حليما منيبا ، شاكرا لأنعم الله .

- سلك الخليل في دعوته لأبيه أحسن منهاج ، واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وجميل خلق ، وحاوره حوارا هادئا ، وخاطبه بأسلوب يفيض رقة وعطفا وحنانا ، وخصه بالنصيحة ، وحذره بأس الله وانتقامه .
- آزر هو والد إبراهيم عليه السلام ، كما قرر ذلك القرآن وأكدته السنة النبوية . والأب يطلق في الحقيقة على والد الإنسان الذي أنجبه وخرج من صلبه ، واستعمال الأب في الوالد حقيقة ،و استعمال الأب في العم مجاز ، و لا يجوز العدول عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند تعذر حمل اللفظ على الحقيقة.
- لا يجوز الاستغفار و طلب الرحمة و المغفرة لأهل الشرك و الكفر .
- ناظر الخليل عليه السلام عباد الأصنام وحاورهم و أقام عليهم الحجة و ألزمهم المحجة ،وبين لهم فساد معتقدهم ، وسفاهة عقولهم إلا أن القوم ألغوا عقولهم فلا يؤمنون إلا بالمحسوس المشاهد ،فلقنهم درسا لم ينسوه ،فما كان منه إلا أن حطم أصنامهم و كسر آلهتهم .
- كان الله مع خليله حين ألقي في النار ، فكانت بردا و سلاما عليه ، وفتح الله رحمته ، فحول الله الضيق و الكرب إلى فرج و سعادة ، و النار بردا و سلاما.
- تمتع الخليل في خطابه للملك المتأله الظالم بالجرأة و العزة فلم يرهبه و لم يضعف أمامه ولم يحيد عن قول الحق ، ولم يتلعثم أو يراهن او يماري في تبليغ دعوة الحق و إقامة الحجة على المعاندين الجاحدين .
- كان الخليل عليه السلام عندما ناظر عباد الكواكب محاورا و مناظرا ، وسلك في دعوته لهم طريق الاستدراج ،ولم يكن في موقف نظر.
- مناظرة الخصم و محاورته و مجادلته لإظهار الحق وبيانه وتفنيد حججه و أباطيله وضلالاته هي الغاية منها للوصول إلى الحق ، وليست مغالبة الخصم واتباع الهوى وحب الظهور.

- استدرج الخليل قومه موهما إياهم موافقا لهم في اعتقادهم ، ثم كر هادما ومفندا ومبينا عقيدته الحقة التي يجب عليهم الإيمان بها.
- استثار الخليل حفيظة عباد الأصنام عندما كسرها تاركا أكبرها و قد علق الفأس في عنقه ليحتج به عليهم فيكبتهم .
- استخدم الخليل في دعوته التورية والمعاريض لأن فيها من السعة ما يستغني بها عن الاضطرار إلى الكذب، وذلك لما عايشه الخليل من المعوقات والصعوبات وما واجهه من عقبات و ابتلاءات و مواقف حرجة .
- التطبيق العملي لقواعد الإسلام و مبادئه له عظيم الأثر في نشر الإسلام ، فما انتشر الإسلام إلا بأخلاق المسلمين و امتثالهم دينهم .
- جعل الله الخليل قدوة للسالكين واماما للدعاة لذا أمرنا الله بالاقتداء به .
- جبل الناس على التقليد و المحاكاة ، و القدوة أعظم أثرا بين الناس لسهولتها وسلامة الأخذ بها ، وسرعة استجابتها للأمور العملية أكثر من استجابتها للأمور النظرية .
- من أبرز سمات الداعية : التطبيق العملي لدعوته ،فدعوة لا تجد لها نصيبا في أرض الواقع دعوة جوفاء لا تلبث أن تموت .
- الدعوة إلى الله تعالى إن لم يذعن لها المدعون و يستجيبوا الرسل لله ، ووقف العناد في وجه الدعوة ، وبقيت المكابرة مركبا ذلولا لأهل الطغيان ، حينئذ لابد من المفاصلة والموادعة وهي الولاء و البراء (الحب في الله والبغض في الله).
- هاجر الخليل من بلاد الكفر الى بلاد الشام يبحث عن أرض خصبة تصلح للدعوة ،تحتضن دين الله وتدافع عنه ،كان الخليل أول من هاجر في سبيل الله وفارق أهله وقومه في سبيل الله .
- من أهم صفات الخليل الإذعان والاستسلام وامتثال أوامر الله تعالى ، وإخلاص القلب ونقاوته ، والرضا والتسليم ،والخضوع لأمر الله .

- ضرب الخليل عليه السلام أروع الأمثلة في التضحية بنفسه وأهله وولده وماله ، وتقديم أمر الله على حظوظ النفس وشهواتها، فجدد صرح البيت العتيق هو وابنه اسماعيل عليهما السلام .
- الدعاء من أجل الطاعات ، وهو عبادة لله تعالى يصل العبد بربه ، ويجسد معنى العبودية التي خلق الإنسان من أجلها .

ثانيا : التوصيات :

- يجب على الدعاة أن يملكوا الخطط المدروسة الذكية في مواجهتهم لأعدائهم و ألا تكون خططهم مجرد ردود أفعال على قرارات الأعداء .
- كما يجب على الدعاة أن يقتدوا بالخليل في إخلاصه لله وحسن توكله على الله و يقينه به .
- لم يكن الخليل في دعوته لعباد الكواكب في موقف نظر، بل كان الخليل في مقام مناظرة و برهان ودعوة .
- ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى أن يتحلوا بالاستعطاف لأنه يجذب القلوب الشاردة و يؤلف القلوب النافرة ويأتي بالخير بدلا من الزجر و التوبيخ و التأنيب .
- كما ينبغي على الداعية في حواره أن يشعر المدعو حرص الداعية على حب الخير له.
- يجب على الدعاة أن يستخدموا التورية و المعاريض ففيهما مندوحة عن الكذب و خروج من المآزق إبقاء على أنفسهم ، واستمرار ا للدعوة لئلا يمسها مساس أهل الفوضى و الريب ، وقطعا لألسنة المنافقين الذين يثيرون الشكوك و الأكاذيب لتشويه صورة الدعوة و الداعية.
- ينبغي على الدعاة أن يتحلوا بالأدب و الرفق و اللين مع المدعوين ، فإذا لم يؤتي أكله لجأوا إلى الشدة و الغلظة ليشعر المدعو بعظيم جرمه وكبير ذنوبه .

- على الدعاة أن يقتدوا بالأنبياء عامة وبأبي الأنبياء خاصة ، فقد جعله الله إماما للدعاة و قدوة للسالكين .
- الخليل عليه السلام و من آمن معه لم يفاصلوا قومهم و يتبرأوا منهم إلا بعد أن قاموا بواجب البلاغ والدعوة إلى الله تعالى ، وبعد إصرار القوم على الكفر و الجحود و العناد .
- الدعاء هو السلاح الذى لا يحق للدعاة أن يسيروا في ركاب الحياة بدونه وهو أفضل العبادات التي يتقرب بها الداعية لمولاه .

وأخيرا هذا جهد المقل ، فإن كان من توفيق فمن الله وحده ، وإن كان من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

المراجع والمصادر:

١- أبوبكر حسين البيهقي : دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . تحقيق : عبد المعطي قلعجي . دار الريان للتراث بالقاهرة . ط/١. سنة ١٤٠٧ه .

٢- أبو الفتح البيانوني :المدخل إلى علم الدعوة . مؤسسة الرسالة . ط/٣ . سنة ٢٠٠١م .

٣- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي : البداية والنهاية . دار المعارف بيروت. سنة ١٤١٠ ه . تفسير القرآن العظيم . دار الجيل ط/١ سنة ١٤٠٨ ه .

٤- أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب . دار المعارف . القاهرة . بدون .

٥- أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي : إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم . تحقيق : د/ يحيى إسماعيل حبلوش . دار الوفاء بالمنصورة . ط/١ . سنة ١٤١٩ ه .

٦- أبو الفضل محمود شاكر الألوسي : روح المعاني . دار التراث العربي . بيروت . لبنان . بدون .

٧- أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) : المفردات في غريب القرآن . مكتبة : نزار مصطفى الباز . بدون .

٨- أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : المعجم الكبير . تحقيق : حمدي عبدالمجيد السلفي . مكتبة ابن تيمية بالقاهرة . بدون .

١٠- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك . دار المعارف بالقاهرة . ط/٤ بدون . جامع البيان عن تأويل آي القرآن . دار الريان للتراث بالقاهرة . ط/١ سنة ١٤٠٧ .

١١- أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي : البحر المحيط . دار الكتب العلمية . بيروت. لبنان . ط/١ سنة ١٩٩٣.

١٢- أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني : المسند . المكتب الإسلامي . بيروت لبنان ط/٥ سنة ١٤٠٥ه .

١٣- أبوعبدالله الحاكم بن البيع النيسابوري : المستدرك على الصحيحين . دار الكتب العلمية . بيروت سنة ١٤١١ ه .

١٤- أبوعبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري : الجامع لأحكام القرآن . دار الغد العربي بالقاهرة . ط/١ . سنة ١٤١٠ ه .

١٥- أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري : الجامع الصحيح . فتح الباري . دار الريان للتراث بالقاهرة . ط/٣.سنة ١٤٠٧ ه . الأدب المفرد . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . المطبعة السلفية بالقاهرة .سنة ١٣٧٥ ه .

١٦- أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي : الجامع الصحيح . عارضة الأحوذي للإمام أبوبكر بن العربي . دار الفكر . بيروت . ط/١. سنة ١٤١٨ ه .

١٧- أبو هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول : موسوعة أطراف الحديث النبوي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط/١ . سنة

١٨- أحمد بن أبي بكر البوصيري : مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة . تحقيق : د/ عزت علي عطية . دار الكتب الإسلامية بالقاهرة . بدون .

١٩- أحمد مصطفى المراغي : تفسير المراغي . دار الفكر بالقاهرة . بدون .

٢٠- د/ بكر زكي عوض : دعوة الرسل . ط/١. سنة ١٩٩٣م .

٢١- جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار المعرفة. بيروت. بدون.

٢٢- د/ حمزة النشرتي وآخرون: القصص القرآني. مؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة. بدون.

٢٣- ٢٤- د/صلاح الخالدي : القصص القرآني . دار القلم دمشق . ط/١ .سنة ١٤٠٩هـ .

٢٥- زكي الدين بن عبدالعظيم المنذري : الترغيب والترهيب . دار الحديث بالقاهرة .

٢٦- د/ عبدالحليم محمود : الإمام الأكبر شيخ الأزهر : في رحاب الكون مع الأنبياء والرسل . دار المعارف بالقاهرة . ط/٤. سنة ٢٠٠٨م .

٢٧- د/ عبد الكريم زيدان: المستفاد من القصص القرآني . مؤسسة الرسالة . بيروت . ط/١ .سنة ١٤١٩هـ .

٢٨- د/ علي أبوبكر إبراهيم : أحاديث الدعوة إلى الله تعالى من خلال سنن أبي داود السجستاني. رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية أصول الدين بالقاهرة .سنة ١٤٢٢هـ .

٢٩- د/ علي يوسف السبكي : موسوعة الأوائل : مكتبة الإيمان بالقاهرة . ط/١. سنة ٢٠١١م .

٣٠- د/فاطمة محجوب :الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية دار الغد العربي بالقاهرة .ط/١ سنة ١٩٩٠م.

٣١- فخر الدين محمد بن عمر الرازي : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير).دار الغد العربي بالقاهرة .ط/١سنة ١٤١٢هـ.

٣٢- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي : القاموس المحيط . دار الحديث بالقاهرة . بدون .

٣٣- محمد الفقي : أحداثها وعبرها . مكتبة وهبة بالقاهرة . ط/٢ . سنة ١٤١٠هـ .

٣٤- د/ محمد بكر إسماعيل : قصص القرآن. دار المنار بالقاهرة . ط/٢. سنة١٩٩٧م .

٣٥- محمد بن عبدالله الزركشي : إعلام الساجد بأحكام المساجد . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة . ط/٤. سنة١٩٩٦م .

٣٦- محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير .دار الكتب العلمية .بيروت . سنة ١٤٢٨ه .

٣٧- محمد جمال الدين القاسمي : محاسن التأويل . تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . عيسى الحلبي بالقاهرة . ط/١. سنة ١٩٥٧م .

٣٨- د/ محمد سيد طنطاوي : القصة في القرآن الكريم .نهضة مصر. ط/١. سنة ١٩٩٦م .

٣٩- د/ محمد طلعت أبوصير: الدعاة في القرآن الكريم ومناهجهم . القاهرة . بدون .

٤٠- د/ محمود حمدي زقزوق وآخرون : حقائق الإسلام في مواجهة المشككين . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة . سنة ١٤٢٣ه .

٤١- د / محمود محمد عمارة : أصول الدعوة من قصة إبراهيم. مكتبة الإيمان بالقاهرة . بدون .

٤٢- د/ مصطفى عثمان صميدة : خليل الرحمن في ضوء السنة والقرآن . مطبعة الحسين بالقاهرة . ط/١. سنة ١٩٩٣م .

٤٣- محي الدين شرف النووي : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج . تحقيق : عبد المعطي قلعجي . دار الغد العربي القاهرة . ط/١. سنة

٤٤- د/ منظور محمد رمضان : منهج الخليل إبراهيم في الدعوة

Uqu.edu.sadmajalat/shariarmmg/mag241fzo.htm.

ول ديورانت : قصة الحضارة .مكتبة الأسرة بالقاهرة .ط/١ سنة ٢٠٠١م.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٧٩٠
خطة البحث ٧٩١
منهجي في البحث : ٧٩١
إجراءات كتابة البحث : ٧٩١
الفصل الأول : عصر الخليل عليه السلام ونشأته ٧٩٥
الأمة التي بعث إليها الخليل عليه السلام : ٧٩٦
نسب إبراهيم عليه السلام : ٧٩٧
المعتقدات الدينية زمن الخليل إبراهيم عليه السلام : ٧٩٧
بعث الخليل إبراهيم عليه السلام : ٧٩٨
الدين الذي جاء به إبراهيم عليه السلام : ٧٩٩
ركائز دعوة الخليل عليه السلام : ٨٠٠
أولاً : العقيدة : ٨٠٠
٢ – الإيمان باليوم الآخر : ٨٠١
ثانيا : شريعة ابراهيم عليه السلام ٨٠٦
ابتلاء الله الخليل بالتكاليف الشرعية ووفاء الخليل بها : ٨١٠
ثالثا: الأخلاق ٨١٣
الفصل الثاني : منهج الخليل عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى ٨١٧
المرحلة الأولى : مع الخليل عليه السلام في بلاد العراق ٨١٧
حقيقة استغفار إبراهيم لأبيه : ٨٢٥
الفصل الثالث : أساليب الخليل إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى ٨٤٢
أولا : الأساليب النظرية ٨٤٢
٢ – المناظرة والمحاورة والمحاجة : ٨٤٣

٣ – الاستدراج: ٨٤٣
٤ – إظهار الحرص على خير المدعوين : ٨٤٤
٥ – استثارة الخصم : ٨٤٤
٦ – التورية والمعاريض : ٨٤٥
٧ – الأدب في التبليغ مع الصراحة في بيان الحق : ٨٤٧
ثانيا : الأساليب العملية ٨٤٧
١ – القدوة الحسنة : ٨٤٨
٢ – تغيير المنكر : ٨٥٠
٣ – المفاصلة والموادعة : ٨٥١
٤ – الهجرة : ٨٥٢
٥ – المبادرة بامتثال أمر الله تعالى : ٨٥٤
أولا : ذبح إسماعيل عليه السلام : ٨٥٥
ثانيا : بناء البيت : ٨٥٧
الخاتمة ٨٦٨
أولا : النتائج : ٨٦٨
ثانيا : التوصيات : ٨٧١
المراجع والمصادر: ٨٧٣
فهرس الموضوعات ٨٧٧